

تَهْجَةُ إِبْنِ الْقُرْبِ

على أساليب اليونان

﴿ تأليف ﴾

امام أئمة الاجتهاد المطلق . بدر علماء العترة النبوية محمد
ابن ابراهيم الوزير الحسني المني الصنعاني مؤلف إيتار الحق
على الخلق وغيره المتوفى في ٢٧ المحرم من سنة ٨٤٠
أربعين وثمانمائة هجرية عن

نخس وستين سنة
خمسة أشهر رحمه الله الهيمشة العبادية
وإيانا والمؤمنين
آمين
قال المؤلف رحمه الله تعالى
منطق الأولياء
ولا هل اللجاج غني
فاذا ما جمعت
طبع بالقاهرة
في سنة ١٣٤٩ هجرية

طبعة المطابع بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يروى المفتقر الى رحمة الله تعالى محمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله
يحيى ابن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين
جلهم الله في الدارين

(كتاب ترجيح أساليب القرآن لأهل الايمان على أساليب اليونان
في أصول الاديان وبيان أن ذلك اجماع الاعيان بأوضح التبيات وسائر
مؤلفات السيد الامام محمد بن ابراهيم الوزير التي من أجلها

(العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) في أربع مجلدات
ضخمة بالقطع الكبير (والروض الباسم المنتزع من العواصم والقواصم)
(وايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق) (والبرهان
القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع) (وقبول البشرى
بالتيسير اليسرى) (وتنقيح الانظار في علوم الآثار) (وكتاب الامر
بالعزلة في آخر الزمان) (وحصر آيات الاحكام الشرعية) (والتفسير النبوي)
(ومجمع الخفائق والرقائق) (والتحفة الصفية) (والتأديب الملوكوتى)
(وكتاب القواعد) (ونصر الاعيان على شر العميان) وهو المعرى (والحسام
المشهور) وغير ذلك من مؤلفاته المفيدة ، ورؤسائه العديدة.

عن جهبذ اليمين المولى الحافظ الحسين بن علي العمري وشيخ الاسلام المولى الحافظ
علي بن علي اليماني والحاكم الاول بصنعاء اليمين المولى الحافظ زيد بن علي الديلمي
الحسني * وثلاثتهم أبقاهم الله تعالى يروونها عن السيد الحافظ أحمد بن محمد
ابن محمد الكبسي الصنعاني المتوفى سنة ١٣١٦ هـ وهو عن السيد الحافظ

يحيى بن المطهر بن إسماعيل الحسنى المتوفى سنة ١٢٦٨ عن القاضي الحافظ الشهير محمد بن علي الشوكاني الصنعاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وهو يرويها في كتابه آتحاف الأكابر بأسناد الدفاتر بالسند المتصل بالمؤلف وهو رضى الله عنه المحيط بجميع العلوم الإسلامية من خلفها وأمامها ، والحرى أن يدعى بإمامها وابن إمامها محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل ابن منصور بن محمد العفيف ابن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم ابن الامام الداعي إلى الله يوسف بن يحيى المنصور ابن أحمد الناصر ابن الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم مولده في شهر رجب سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة هجرية - وأخذ في علوم العربية والادب عن أخيه السيد الامام الهادي بن إبراهيم الوزير وعن القاضي العلامة محمد بن حمزة بن مظفر - وفي الأصول والفروع وعلم اللطيف - عن القاضي العلامة علي بن عبد الله بن أبي الخير والقاضي العلامة عبد الله بن الحسن الدواري الصعدي وغيرهما - وفي التفسير وأصول الفقه - عن السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم ، وأخذ عن السيد العلامة الناصر بن أحمد بن الامام المطهر الحسنى ، وعن الشيخ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي التعزى وغيرهم من أكابر علماء عصره بمدينة صنعاء وصعدة وسائر المدن اليمنية . وأخذ بمكة المكرمة عن الشيخ المحدث محمد بن عبد الله بن ظهيرة والشيخ نجم الدين محمد بن أبي الخير القوصي الشافعي والشيخ زين الدين محمد بن أحمد الطبري والشيخ

محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بأبي الين الشافعي والشيخ علي بن مسعود بن علي بن عبد المعطي الأنصاري المالكي والشيخ المعمر أبي الحسين بن الحسين بن الزين محمد القطب القسطلاني والشيخ علي بن أحمد ابن سلامة المكي الشافعي وجار الله بن صالح الشيباني والشريف أحمد ابن علي الحسني الشهير بالفاسي واستجاز منهم ومن غيرهم

ومن أجل تلامذته السيد محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير والامام الناصر صلاح الدين محمد بن علي وعبد الله بن محمد بن المطهر وعبد الله ابن محمد بن سليمان الحمزي وغيرهم . وقد ترجمه القاضي الحافظ أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطالع البدور والسيد الحافظ ابراهيم بن القاسم بن المؤيد الحسني الشهاري في طبقات رواة الفقه والآثار تراجم مطولة وترجمه أيضاً القاضي الشهير محمد بن علي الشوكاني في كتابه البدر الطالع ترجمة منها ما نصه هو الامام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير تبهر في جميع العلوم وفاق الاقران ، واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه في الافطار وترجم له السخاوي وترجم له التقي ابن فهد في معجمه وترجم له الحافظ ابن حجر العسقلاني في أنبائه في ترجمة أخيه الهادي

ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكترون العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية ما لا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الاحوال فان في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ويعتمدون على ما صح في الامهات الحديثية وما يلتحق بها من دواوين الاسلام المشتتة على سنة سيد الانام ولا يرفعون إلى التقليد رأساً ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي

لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله مع كثرة اشتغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة وعدم اخلاصهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية وبالجملة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم ، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم ويتكلم في الحديث بكلام أئمة المعتبرين ، مع إحاطته بحفظ غالب المتن ومعرفة رجال الاسانيد شخصاً وحالاً وزماناً ومكاناً وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فانها شاهد عدل على علو طبخته وهو إذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر في غيره من أي علم كان وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده وقد يأتي في كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره كائناً من كان، ودنوان شعره في مجلد ثم انجمع وأقبل على العبادة وتوحش في القلوات وانقطع عن الناس وذاق حلاوة العبادة وطعم لذة الانقطاع الى جناب الحق فصغر في عينيه ماسوى ذلك الخ كلام الشوكاني

وكان صاحب الترجمة رحمه الله تعالى يتكدر من قول بعض حسدته إنه يخالف أسلافه من أهل البيت عليهم السلام ويذب عن نفسه بمثل قوله في قصيدة له

ديني كأهل البيت ديناً قيماً متنزهاً عن كل معتقد ردى
ويشك في ذوو الجهالة والمعى والشمس لا تبدو لعين الأرمدة
إني أحب محمداً فوق الورى وبه كما فعل الأوائل أقتدى
وأحب آل محمد (نفسى الفدا لهم) فما أحد كآل محمد
هم باب حطة والسفينة والهدى فيهم وهم للظالمين بمرصد
وهم النجوم خبير متعبد وهم الرجوم لكل من لم يعبد
وهم الأمان لكل من تحت السما وجزاء أحمد وُدهم فتودد
والقوم والقرآن فاعرف قدرهم ثقلان للشقلين نص محمد
وكفى لهم شرفاً ومجداً باذخا شرع الصلاة لهم بكل تشهد
ولهم فضائل لست أحصى عدها من رام عد الشهب لم تعدد
سنوا متابعة النبي ولم يكن لهم غرام بالمذاهب عن يد الخ
ومات بصنعاء اليمن في يوم ٢٧ المحرم سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة هـ
عن خمس وستين سنة إلا خمسة أشهر وقبره بقرب مسجد فروة بن
مسيك شمال مدينة صنعاء رحمه الله تعالى

لخص هذه الترجمة بالقاهرة في رمضان سنة ١٣٤٩ محمد بن محمد بن يحيى
زيارة الحسنى اليمنى غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين آمين



بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقى

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته الصالحين ، وكافة عباده الأخيار أجمعين .

الحمد لله الذى جمع بالقرآن العظيم لأهل الاسلام بين أصح العلوم وأوضحها فى الافهام ، وأفضل الأعمال وأيسرها على الموفقين من الأنام ، حيث أربى لما أودعه من البراهين العظام على فنى المنطق والكلام ، لما فيه من النفع العام للخو اص والعوام ، ولسلامته مما اشتد عليه فى الجليات من فضلات الكلام ، والتعب الكثير فى مجرد فهم عبارات الفلاسفة الطغام ، وفى الخفيات من التعمق والأوهام ، والمشى وراء الفلاسفة والمبتدعة فى مداحض الأقدام ، ولأمر ما فضل الله سبحانه المهرة من حامله على جميع الاولياء الاعلام ، حيث رفعهم الى مراتب السفارة الكرام ، الذين هم أفضل الملائكة عليهم السلام ، وجعل التفاوت فيما بينه وبين سائر الكلام كالتفاوت فيما بين الرب جل جلاله وبين سائر الانام ، ومثل هذا التفاوت لا تطمح الى دركه الافهام ، ولا تجنح الى تخيله الاوهام ، ويسره سبحانه للذكر على الدوام ، رحمة منه لنا وحجة علينا لا يتغيران لمرور الليالى والايام ، وجعل العلم بحكماته نوراً ساطعاً يرفع كل ضلال وظلام ، ولم يكلف أحداً ما لا يعلمه من متشابه كلام الملك العلام ، كما سببأتى نصاً جلياً فى كلام أمير المؤمنين على عليه

السلام ، ولا عسر سبحانه على المكلف فهم ما خاطبه به من دلائل
الايمان والاسلام ، وشرائع الحلال والحرام ، وفوائد الاخبار وسائر
الاحكام ، وبدائع البلاغة الموصوفة بالتشابه والاحكام ،
والى من نزل عليه ليبتدى به الانام ، فنص من فضائله على ما يكل
اللسنة والاقلام ، أوجه أفضل الصلاة والتحيات والسلام ، وعلى آله
الائمة الاعلام ، الذين رووا من فضائله ما يشفى الاوام ، ويلصق أنوف
الجاحدين بالرغام .

(أما بعد) فانه نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن ، وفارق
فريق الفرقان ، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان ،
في معرفة الديان ، وأصول قواعد الاديان ، وحث على الرجوع في ذلك
إلى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقصباً لمن اكتفى بما في معجز
التنزيل من البرهان ، مقبجاً لتلقى كثير من محكماته بالقبول والايمان ،
لاجرم أن الله تعالى وإن وصفه بأنه لقوم هدى ، فقد وصفه بأنه على قوم
عمى ، ففسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لا أمر يرجع الى ذاته ، وللخلل
يعود الى بين آياته ، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما في قلوبهم من العمه
والعمى ، والرداءة والردى ، فكانهم المنافقون ريباً وخبثاً وبهتاناً ، حين قالوا
ايكم زادته هذه ايماناً .

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرراً به الماء الزلالا

ومن العجب أنه يتعاطى العلم بالذات وبالصفات ، ويتأول جميع
المتشابهات ، كما يعلمها علام الغيوب والخفيات ، مع منعه غيره من الاعتماد

في التوحيد على الآيات المحكمات، وأمّهات المتشابهة للبينات، وما هذا إلا مضادة للمعقولات، ومناقضة للمنقولات، فما أصبح مأمّنه وعده من الحال، وأبعد ما تعاطاه من مناسبة الحال، كما يتضح إن شاء الله عند ذكر أدلة الاقوال، وتنقيح البراهين والاستدلال، فلو لا ذلك لاستوى العالم والجاهل، وتشابهت المناهج والمجاهل، وقال من شاء ما شاء، وعاد الخبر المحتمل للنقيضين كالانشاء. وقد رأيت التقرب إلى الله تعالى ببيان نقض ما ادعاه في الأمرين. وإفساد جميع ما تعاطاه مفصلاً في فصلين. رجاء أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد» ولما ورد في فضل من انتهر صاحب بدعة. من غير رياء ولا سمعة. مع الإشارة إلى جمل شافية في فضل كتاب الله تعالى وفضل حامله، وذكر نبذ من الاخبار الواردة فيه، وبيان بعض ما شتم عليه من الدلائل، المغنية في الاعتقاد عن الاشتغال بكتب الاوائل

الفصل الاول

في بطلان ما ادعاه من قصور القرآن عن الوفاء بالدلالة على الربوبية والتوحيد والنبوات. وبيان خلافه في ذلك للمعقول والمنقول واجماع المسلمين

مقدمة

في التنبيه على عظم قدر القرآن وأنه في ذلك أجل نفعا وخطراً وقدرًا

وأثراً من جميع تصانيف المتقدمين المتعمقين . وتدقيق المتكلمين .
وهو أنواع :

﴿ النوع الأول ﴾ قال الله جل جلاله « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدداً من خشية الله » وقال سبحانه « ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أوقطعت به الأرض أو كلم به الموتى » فما كان لعظيم قدره ونفعه وبركته ونوره وهدايته وسره وخاصيته التي لا يحيط بمعرفتها على التفصيل والتحقيق إلا الله عز وجل بحيث يؤثر في الجبال الراسيات . والصخور القاسيات . فكيف لا يؤثر في قلب المتدبر له . المتعلم منه ، المعول في جميع المهمات عليه . الراجع في اقتباس نور الهدى إليه . وأى كتاب يوجد في العالم موصوف بمثل هذا الوصف ، والواصف له الملك الرب الجليل علام الغيوب الذي يستحيل عليه الخطأ ، والتعظيم لما لا يستحق التعظيم ، والغلو القبيح في الكلام بغير الحق . فكيف يترك ما في هذا الذكر المبين ، من البراهين ، ويعتمد على تأكيد المخلوقين ، وأساليب الجدليين ؟

ثم تورد اشكالات على نصوصه النيرة ، وشكوك في علومه اللبينة ، ويعاب من دعا إلى الاعتماد عليه ، ويضل من كان رجوعه في المشكلات إليه

﴿ النوع الثاني ﴾ قال الله تعالى « أو لم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون » وقال عز وجل « فبأى حديث بعده يؤمنون » وقال تبارك وتعالى « أفلا يتدبرون

القرآن أم على قلوب أقفالها»

فهذه الآيات وأمثالها الواردة بصيغة الاستفهام المتضمن معنى الإنكار فيها مبالغة واضحة عند علماء البلاغة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان وعظم النفع في تدبره بحيث لا يمانه في هذه الأشياء غيره ولا يقاربه

﴿النوع الثالث﴾ قال الله عز وجل «قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» وما في معناها من الآيات

فلاشتغال بالنظر في علوم هذا المعجز الجليل الذي أعجز الخلق أجمعين بالنصوص القرآنية والضرورة العقلية، أولى من الاشتغال بعلوم الأمثال والاجناس من سائر الناس. فالعائب لمن دعا إلى هذا خارج عن العلم وأهله لاحق بالعالم البهيمي في فاحش جهله.

﴿النوع الرابع﴾ قوله تعالى «ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون» فانظر إلى موقع قوله فصلناه على علم وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الإيجاز في موضعه والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله تعالى بالغيوب من مصالح المؤمنين الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة، فأى كتاب فصل على علم مثل هذا العلم الذي صدر عنه تفصيله؟ ونحو ذلك قوله «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قبيهاً» فإن معنى القيم المنفى عنه العوج هو الذي بلغ الغاية القصوى في الأحكام والاتقان، وانتفاء الخطأ والتعارض

والتناقض وإيهام الضلال . والعوج بكسر العين يختص المعاني وافتحها يختص الاجسام وإنما جمع بين نقي العوج وإثبات القيومية له وأحدهما يغني عن الآخر تأكيداً لذلك ومبالغة فيه فكيف يقوم مقامه سواء أوساوى كتاب بكتاب الله تعالى

﴿ النوع الخامس ﴾ قوله تعالى « كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » وفي معناها « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » وإنما كانت في معنى الأولى لأن القرآن أكد مما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبعد من كل ريب فن استراب في شيء منه فهو فيما سواه أعظم ريباً ومن ولم بالنظر في دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله وأعرض عن التدبر لكتاب الله والفرق بين نصوصه وظواهره وخصوصه وعموماته من غير أن يحكم دليل ماقطع به ويستوثق من صحته

ثم يسمع نصوص القرآن تخالف ما هو عليه فيعتقد فيها من تحمل وجوه المجاز ما لا يصح مثله في العربية ولا موجب له لو حقق النظر في الفطرة السليمة العقلية ، وذلك مثل من يقطع على استحالة تسبيح الطير وغيرها من الحيوان مع قوله تعالى « والطير صافات كل قد علم صلواته وتسبيحه » وقوله « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً » وقوله تعالى حكاية عن نبيه سليمان عليه أفضل الصلاة والسلام « يأأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل

شيء ان هذا هو الفضل المبين « وقوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » وقوله عز وجل « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها » الآية وقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام « وتفقذ الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من مغائبين * لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحيط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم » الآيات إلى السجدة وقد تأولها الزمخشري الا كلام النملة والهدهد فلم يستطع وازمه بذلك الحق وان كان اقراره بكلامهما يدل على جواز الجميع وليس المسوخ للتأويل الا عدم الجواز واعتذارهم بالفرق بأن كلام النملة والهدهد معجز خارق لأن الحيوان الهيمى كلاما مردودا بوجوه خمسة: منها أن المعجز لا يكون الا بعد الدعوى للنبوّة على وجه يعلمه المكذب والمستدل وعلم كلام الطير والنملة من خواصه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى « علمنا منطق الطير » ومنها ان قوله في الهدهد لا عذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه يدل على أنه عاقل مستحق للعقوبة . وثالثها ان قوله سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين دليل على أنه متكلم مختار ولو كان ذلك معجزا لكان الكلام في الحقيقة لله تعالى عز وعلا ولو كان كذلك لوجب العلم بصدقه . ورابعها ان قوله تعالى في النملة « فتبسم ضاحكاً من قولها » دليل على ذلك ولو كان معجزا منسوباً الى الله تعالى لم يكن لضحكته منه وجه ولكان بالروعة

منه والجلال له أولى. وخامسها انه لا مانع في العقل من صحة ذلك ألبتة ونحن نشاهد لها من الحزم منا والبعد من المضار وحسن الحيلة في كسب المعيشة والتآلف والتعارف والتعاون والتفاهم ما يؤيد ذلك مع ما جاء في الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبين لكتاب الله تعالى من ذلك وقد ذكر الامام المهدي محمد بن المطهر (١) عليهما السلام جملة صالحه من ذلك في تفسير قوله تعالى « ويلعنهم اللاعنون » وذكر فيه ما ذكره السيد الامام الناطق بالحق ابو طالب في أماليه من كلام الثعلب وطول الكلام في هذا في قدر كراس في كتابه عقود العقيان ومن مواضع ذلك كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للقاضي عياض رحمه الله تعالى فانه افرد ذلك في فصل تركته اختصارا والقصد بذلك هذا تمثيل ما حذرت منه من التزم الايمان بما في كتاب الله تعالى مما تناوله بعض المتكلمين ويعتقدون القطع ببطلان صحته ويتمحلون له من التجوز ما يتنزه أحدهم عن مثله في كلامه وبيانه

﴿ النوع السادس ﴾ انه قد اختص من شرائف الصفات بما لم يشار كفيه غير من كونه كلام الله تبارك وتعالى، وكونه معجزا ومن أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ، وقرآن كريم في كتاب مكنون، وكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وانه نور، وانه شفاء لما في الصدور ومنه قوله تعالى « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد » فجعل أهل العلم الحق الذين هم العلماء حقا هم المختصون بمعرفة ذلك

(١) الاشارة الى كلام الامام محمد بن المطهر في كلام الحيوان البهيمي

وكذلك في الحديث عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «القرآن هو الشفاء» رواه السيد ابوطالب في أماليه وابن ماجه بنحوه في كتاب الطب من سننه فاسبب نقصانه وقصوره؟ فان ادعى هذا الجاهل ان السبب انه لم يذكر فيه حجة أو كذبتة نصوص القرآن ونصوص علماء الاسلام وان ادعى ان القصور في عبارته أو كذبتة الضرورة والاجماع

﴿ النوع السابع ﴾ مما يدل على تعظيم القرآن عقلا ان العقلاء مازالوا يستدلون على حسن الكتب وعظم نفعها بمقدار صاحبها وقالت العرب «وكل اناء يرشح بما فيه» ولا شك ان تأليف العلماء قد تفاضلت على قدر علومهم والقرآن كلام علام الغيوب وقد أنزله هدى وشفاء ونورا وبيانا ولا شك ان في العلوم مصالح ومفاسد كما في قوله تعالى في تعلم السحر «ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم» وقال في الساعة «أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» وقال «ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر» وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى قوله قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين» وفي قوله تعالى للجواريين «إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين» اشارة الى ان زيادة العلم في بعض المواضع قد تكون سببا في زيادة العذاب فيكون مصلحة في طي كثير من العلوم واليه الاشارة بقوله عز وجل «وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون» وفي سبب نزولها حديثان عن ابن عباس وجابر بن عبد الله

رضى الله عنهما ورجال الصحيح كل منهما رجال خرجهما الهيثمي في مجمع الزوائد مفرقين في تفسير سورة هود وتفسير الاسراء فاذا تقرر هذا فالرجوع الى كتاب من يعلم من مصالحنا ومفاسدنا ما لا نعلمه أولى بنا والله يعلم وأنتم لاتعلمون وهذا كله بعد علمنا بأنه كلام الله بدليل المعجزات وطريقة السلف كما سيأتي بيانه مبسوطا ان شاء الله تعالى

﴿النوع الثامن﴾ ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته من الحث على الرجوع الى كتاب الله وتفضيله على غيره مما فيه خير وهدى وتقصى ذلك يطول ويمل فلنقتصر من ذلك على حديث مشهور يذكر بأمثاله وذلك مما رواه السيد الامام أبو طالب (١) عليه السلام في أماليه والحافظ المحدث ابو عيسى الترمذي في جامعه من حديث الحارث بن عبد الله الهمداني صاحب على عليه السلام قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي عليه السلام فاخبرته فقال اقد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «الا انها ستكون فتنة قلت فما اخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن

(١) حديث شريف عن أمالي الامام ابى طالب والترمذي في الرجوع الى القرآن

إذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهذى الى الرشد فأمنّا به من قال به صدق ومن عمل أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم انتهى هذا الحديث الجليل وقد رواه السيد الامام أبو طالب عليه السلام في أماليه بسند آخر من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه ورواه أبو السعادات ابن الأثير في جامع الاصول من طريق ثالثة من حديث عمر بن الخطاب ولم يزل العلماء يتداولونه فهو مع شهرته في شرط أهل الحديث متلقى بالقبول عند علماء الاصول فصار صحيح المعنى في مقتضى الاجماع والمنقول والمعقول

﴿النوع التاسع﴾ اجماع علماء الاسلام من جميع الطوائف على ان القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد من غير ظن ولا تقليد وكما ان المتكلم ينظر في كتب شيوخه ليتعلم منها الأدلة من غير تقليد غيره فكذلك من نظر في القرآن يتعلم منه الادلة من غير تقليد بل القرآن العظيم هو الذى منه تعلم المتكلمون النظر لكنهم غالوا في النظر ولم يقتصروا على القدر الكافي النافع المذكور في كتاب الله تعالى وذلك يتضح بايراد كلام علماء الفرق المختلفة في المصنفات الشهيرة وعدم انكار شيء من ذلك على أحد منهم في الازمنة الطويلة والقرون العديدة مع اختلافهم واختلاف المقررين لهم أغراضاً وبلداً وانساباً وازماناً لم تجمعهم بلد ولا مذهب ولا زمن ولا نسب ولا غرض فأولهم أبو الأئمة وامام الأئمة أمير المؤمنين وحجة المحققين على عليه السلام وهو مشهور عنه في نهج البلاغة وغيره روى السيد الامام أبو طالب عليه السلام من ذلك ما يكفي ويشفى ولم يتأوله كما هو عادته فيما يجب تأويله عنده فقال اخبرنا في رحمه الله قال

(٢ - ترجيح)

أخبرنا أبي رحمه الله قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سلام قال
 أخبرنا أبي قال حدثنا إبراهيم بن سليمان قال حدثنا علي بن الخطاب الخثعمي قال
 حدثنا أحمد بن محمد الانصاري عن بشير عن زيد بن أسلم أن رجلا سأل
 أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة فقال يا أمير المؤمنين
 هل تصف لنا ربنا فنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب علي عليه السلام
 ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ثم صعد المنبر وهو
 مغضب متغير اللون فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم ثم سرد الخطبة إلى قوله أيها السائل اعقل ما سألتني عنه
 ولا تسأل أحداً عنه بعدى فاني أكفيك مؤنة الطالب، وشدة التعمق
 في المذهب، فكيف يوصف الذي سألتني عنه وهو الذي عجزت الملائكة
 مع قريهم من كرسى كرامته وطول وطهم به وتعظيمهم لجلال عزته
 وقربهم من غيب ملكوت قدرته أن يعلموا من علمه إلا ما علمهم وهم
 من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا
 سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، فعليك أيها
 السائل بما دل عليه القرآن من صفته وتقدمك فيه الرسل بينك وبين
 معرفته فأنتم به واستضي بنور هدايته إنما هي نعمة وحكمة أوتيتها نخذ
 ما أوتيت وكن من الشاكرين وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في
 الكتاب فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أئمة
 الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فانه منتهى حق الله عليك .
 وله عليه السلام نحو هذا في وصيته لولده الحسن عليه السلام وهي خير وصية من

خير موصى إلى خير موصى إليه وستأتى فينبغى تأملها حق التأمل والعمل
بما فيها ومراعاة المبتدعة بها

ومنها من أئمة العترة الطاهرة الامام المؤيد بالله يحيى (١) بن حمزة عليه
السلام فانه ذكر في أوائل كتابه التمهيد في القول بوجوب النظر فقال
إن أكثر القرآن مشتمل على ذكر الأدلة وشرحها . قال عليه السلام
ولنذكر منها آية واحدة ليقاس بها الباقي وهى قوله تعالى « أو لم ير
الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » إلى آخر السورة
فالله تعالى حكى في هذه الآية انكار المنكرين للاعادة وقرر وجه شبههم
وأجاب عن كل واحدة منها بجواب يخصه وطول في بيان ذلك إلى قوله
وأما الآيات الدالة على إثبات الصانع وصفاته والنبوة والرد على منكريها
فاكثر من أن تحصى * ومن علماء العترة وساداتهم الذين ذكروا ذلك وحثوا
عليه وصنفوا فيه السيد العلامة يحيى بن منصور رحمه الله تعالى ومن أواخر
ما صنف في ذلك كتابه المسمى بالجمال الاسلامية فانه شغنه بالاحتجاج
بالآيات القرآنية * ومن العلماء الزيدية وقدماء الشيعة محمد بن منصور الكوفي
المتفق على علمه وفضله وقد بالغ في هذا المعنى وصنف فيه كتابا مفردا
سماه كتاب الجملة والالفة ونقل منه السيد العلامة أبو عبد الله محمد بن على
ابن عبد الرحمن العلوى الحسى في كتابه الجامع الكافى الذى لم يصنف
في فقه الزيدية مثله فقال في المجلد السادس منه في كتاب الزيادات ما لفظه
وإنما جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بغاية الحجة على من سألها ما بين الله
وأُنزل في كتبه اليها ولم يعد ذلك إلى غيره ولن تكون حجة أبلغ على الله من

(١) الحسينى صاحب الطراز المتوفى بمدينة ذمار في سنة ٧٤٩ هجرية

حجج الانبياء عليهم السلام التي بلغوها عن الله تعالى خلقه ولا أهدي لهم إن قبلوها قال الله تعالى «قالت لهم رسلهم في الله شك فاطر السموات والارض» وقال إبراهيم في محاجة قومه «أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون فانهم عدوا لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين إلى قوله والذي يميتني ثم يحييني فدلهم عليه بالقدره والتدبير - وقال موسى عليه السلام في مسألة فرعون إذ يقول «من ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، قال فما بال القرون الأولى، قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى» الآية وقال فرعون وما رب العالمين قال موسى «رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين» وقال موسى عليه السلام في آية أخرى «رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون» فلم يتعد موسى عليه السلام في الجواب عند مسألة فرعون إياه غير ما أنبأه الله به في الكتاب ، وفرعون اللعين اعمى العميين وأعمى العاتين وأخبث المتعتنين اجابه موسى عليه أفضل الصلاة والسلام عن الله عز وجل بالدلالة من خلق الله عليه ، وكذلك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين سأله قومه عن الله عز وجل إذ يقولون من يعيدنا فأمره الله تعالى بالجواب لهم «قل الذي فطركم أول مرة» وقال من لا شريك له «أولم ينزلنا نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم» وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم «قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم توقدون» فلم يكلف سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وعلى آله

وسلم من الحجة والجواب غير ما قاله في الكتاب وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له قومه انسب لنا ربك فنزل عليه جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد انتهى بحروفه وهذا أيضاً قول المعتزلة ممن صرح به منهم قاضى القضاة عبد الجبار فانه قال في المجلد الرابع من المحيط في النبوات في ذكر إعجاز القرآن ما لفظه واتفق فيه أيضاً استنباط الأدلة التي توافق العقول وموافقتها ما تضمنه لاحكام العقل على وجه يبهر ذوى العقول ويحيرهم فان الله سبحانه بينه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاماة وجهد بلفاظ سهلة قليلة تحتوى على معان كثيرة كما ذكره عز وجل في نقض مذاهب الطبيعيين في قوله تعالى « وفي الارض أقطع متجاورات الآية » وفي الآيات التي ذكرها في نفي الثاني وفي غير ذلك من الابواب التي لا تكاد تحصى انتهى بحروفه (ومنهم الحاكم أبو سعيد المحسن بن كرامة) فانه قال في شرح العيون في الفصل السابع منه ما لفظه فلا شبهة أنه دعاهم يعنى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى هذه الاصول والنظر في الأدلة بما تلاعليهم من الآيات في أدلة التوحيد والنبوات

ومنهم مختار بن محمود أحد ناصري مذهب ابى الحسين البصري فانه قال في كتابه المجتبى في الاستدلال بطريقة الاحوال في الطريق الرابع من الباب الثاني بعد ذكر الاستدلال وقد جمعها الله تعالى في قوله « إن في خلق السموات والارض الى قوله لا آيات لقوم يعقلون » وقال في مسألة الاطفال إن التمسك بكتاب الله المبين أقوى أركان أصول الدين وكفلك هو قول سائر الطوائف * وقال القاضى عياض في الشفاء في ذكر إعجاز القرآن

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل نبوته خاصة معرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والحجج والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم براهين قوية وأدلة بيّنة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله «أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم. وقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة. وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» إلى ما حواه من علوم السيرة ونبأ الامم والمواعظ والحكم* وقال الفخر الرازى الاشعرى فى كتابه الاربعين فى الكلام على النبوات فى ذكر المعجزات العقلية: بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد فى تقرير الدلائل على ما ورد فى القرآن* وقال الغزالى وهو من أئمة الطائفة الشافعية فى الفقه والاصول فى الاصل الاول من الركن الاول من الرسالة القدسية فى معرفة وجود الرب تعالى: وأولى ما يستضاء به من الابواب ويسلك من طريق النظر والاعتبار ما أرشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان ثم ساق الآيات القرآنية* وقال صاحب الوظائف فى مذهب أهل الحديث والاثر فى الدليل على معرفة الخالق سبحانه ووحدايته وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى اليوم الآخر: وأدلة هذه الامور فى القرآن. أما الدليل على معرفة الخالق فثل قوله تعالى «قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فيقولون الله»

وقوله «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد) وقوله تعالى (فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صباً ثم شققنا الارض شققاً أنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخللا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً إلى قوله وجنات ألفافاً) وأمثال هذه الآيات وهي قريب من خمسمائة آية ينبغي للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته بقوله الصادق المعجز إلى قوله فان الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير وعن رسوله البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم تقنع وتسكن النفوس وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة . وأما الدليل على وحدانيته فيقع بما في القرآن من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ونظائرها * وأما صدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيستدل عليه بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ونظائرها وأما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وبقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى بمعنى ثم كان علقة تغلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) وبقوله (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الى قوله وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير)

وأمثال ذلك في القرآن كثيرة فهذه أدلة قاطعة جلية تسبق إلى الافهام ببادىء الرأى وأول النظر ويشارك كافة الخلق في دركها فآدلة القرآن والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان بل كالماء الذى ينتفع به الصبى والرضيع والرجل القوى ولهذا كانت ادلة القرآن سائغة جلية لا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . وأن التدبير لا ينتظم فى دار واحدة بمديرين فكيف ينتظم فى جميع العالم وأن من خلق علم ثم خلق كما قال تعالى «الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» فهذه أدلة تجرى مجرى الماء الذى جعل الله منه كل شىء حيا إلى آخر كلامه . وبالجمللة فتقصى كلام علماء الاسلام فى مثل هذا يمل والحاجة إلى الاحتجاج عليه من عود الدين غريبا من أدل دليل على عناد المخالف .

وليس يصح فى الافهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

﴿فصل﴾ فى ذكر ما تيسر من نصوص أهل البيت عليهم السلام على الاكتفاء بالجل والحث على ذلك وكراهة الغلو فى علم الكلام ليعلم بذلك مذهبهم ويعلم به كذب مدعى إجماعهم على خلافه من ذلك قول على عليه السلام فى وصيته لولده الحسن عليهما السلام «واعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتى تقوى الله تعالى والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك فانهم لم يدعوا النظر لانفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر ثم ردهم آخر ذلك إلى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يعرفوا . فان أثبت نفسك أن تقبل

ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط
 الشبهات وغلو الخصومات إلى آخر ما ذكره في هذا المعنى في نهج البلاغة.
 وتأوله ابن أبي الحديد بما يستحى من ذكره: من أن ذلك لعلم على عليه السلام بقصور
 ولده الحسن عليه السلام من درك هذا العلم. وكفى شاهداً على بطلان هذه البدعة
 ما أدت إليه من تفضيل شرار القرون في قواعد الإيمان على ربحانة المصطفى
 سيد شباب أهل الجنة المجمع على إمامته بعد أبيه عليهما السلام
 وكونها لا تصح إلا مع تعسف التأويلات الرادة لكتاب الله عز وجل ثم
 لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لأقوال السلف وأفعالهم
 وتقريراتهم ثم لنصوص الأئمة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم. وكيف يظن بامير المؤمنين أنه يجعل وصيته لولده الحسن من
 أغمض التشابهات وأدق الشبهات؟ هيهات هيهات لو لدفع الضرورات.
 وابتغاء الفتنة بالتأويلات. ومن ذلك ما تقدم قريبا عن علي عليه السلام
 في الرجوع إلى كتاب الله. والذي حمل ابن أبي الحديد مع علمه على ذلك
 التأويل ظنه أن ذلك الكلام يستلزم جواز الجهل بالله تعالى وتقليد كل
 أحد لأهله. وليس كذلك لأنه إنما امره باتباع الأولين من أهله وهم
 حجج الآله على البرايا منهم على عليه السلام المنصوب علما عند الاختلاف
 بل منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي شهدت بصدقه الآيات
 والمعجزات لكنه امره أن يكتفى بالدليل الجلي الدال على صدقه الذي علم
 على عليه السلام أن الحسن قد عرفه ونهاه عن التعرض للتفاضل والله
 أعلم * ومن ذلك قول علي عليه السلام لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم

يجبها عن واجب معرفته فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذوى
الوجود . ونصره ابن أبى الحديد فى شرحه وعزا نصرته إلى قاضى القضاة
قال وليس هو قول الجاحظ لان الجاحظ ادعى فى جميع المعارف انها ضرورية
وهذا فى معرفة إثبات الصانع فقط ولفظه: ونحن ما ادعينا فى هذا المقام إلا
أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضرورى فاين أحد القولين من الآخر
انتهى بحروفه . ومن ذلك ما ذكره المؤيد بالله فى الزيادات فى ذكر مسائل
الاجتهاد فقال ما لفظه: والاولى عندى الاحتياط فى مسائل الفقه ما أمكن
والتوقف فى مسائل الكلام . وقال بعد ذلك فى فصل فيما يجب على القاضى
والمستقضى: والاولى عندى ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة إلى معرفته من
علم الكلام لان الصحيح من المذهب أن الجاهل قبيح ويجوز أن يصير الى حالة
يستحق صاحبها الخلود فى النار وهذا غير ما موعوبه لو نظر فى مسألة من الكلام
وأخطأ ولم يشتغل بها وترك النظر فيها أمن من ذلك ولو أصاب كان ما يستحق
من الثواب على الاصابة يسيراً . والعاقل إذا اختار الحزم اختار الاعراض
عنها دون النظر فيها وهذا كبرجل يقال له: إن خرجت إلى الديلم أعطيتك
ديناراً وهو يملك مائة درهم ولا حاجة له إليه ويكون فى الطريق خطره وهو
يعلم أنه ربما يناله ضرر يؤدى الى تلف النفس . فالعاقل الحازم يختار فى مثل
ذلك ترك سلوكه . وكل ذلك فيما لا يجب عليه فى الوقت من المسائل . وإن كان
فيما بعد يجوز أن تتفق له شبهة يجب عليه النظر فى حلها وربما يحتاج الى علوم
كثيرة لتحلها فبالأهم يجب أن يشتغل

ألا ترى أن من ترك طلب قوت يومه وهو يحتاج اليه واشتغل بتحصيل

فطن محتاح اليه بعد شهر للبس الشتاء لا يرضى فعله . اهـ بحروفيه
ومن ذلك ما أورده السيد العلامة أبو عبد الله الحسنى في كتابه الجامع
الكافي فقه الزيدية في المجلد السادس منه في ذم ما أحدث الناس من علم الكلام
والامر بلزوم السنة وما درج عليه السلف فانه طول في ذلك ونقله عن عيون
أئمة العترة المجمع على علمهم وفضلهم مثل علي بن الحسين وولده زيد وحفيده
جعفر الصادق وعبد الله بن موسى وأحمد بن عيسى بن زيد والحسن بن
يحيى بن الحسين بن زيد بن علي رضي الله عنهم
ومحمد بن عبد الله النفس الزكية ، و ابراهيم بن عبد الله ، والقاسم بن
ابراهيم ، وأخيه محمد بن ابراهيم ، ورأس شيعتهم العالم الكبير محمد بن منصور
وصنف في ذلك كتاب الجملة والالفة .

قال محمد بن منصور في كتاب أحمد بن عيسى ، كان عبد الله بن موسى
رضي الله عنه يكره الكلام فيما أحدث الناس وكان إذا ذكر له رجل ممن يتكلم
فيما أحدث الناس من الكلام يقول اللهم أمتنا على الاسلام ويمسك
وقال محمد في كتاب الجملة ، رأيت أحمد بن عيسى يترحم على من يقول
بخلق القرآن ومن لا يقول به . وكان عنده الاخذ بالجملة محمودا ، وترك
ما فيه الفرقة وهو عنده الاتباع للسلف . وقال محمد بن منصور في كتاب
الجملة وذكر اختلاف الناس واكفار بعضهم بعضا فقال رأيت المتفرقين
وعاشرت المختلفين من الخاصة والعامة من علماء آل الرسول وأهل
الفضل منهم ومن غيرهم من أهل العلم والفضل من الشيعة الموحدين إنكار
النكر وحياطة الدين فما رأيتهم يكفر بعضهم بعضا ولا يستحلون ذلك

ولا يتبرأ بعضهم من بعض ، بل قد رأيت بعضهم يتولى بعضاً ويترحم عليه بعد المعرفة منهم بخالفة بعضهم لبعض . ثم سرد أشياء مما شاهده من ذلك عن القاسم وغيره الى قوله وكان عمرو بن الهيثم من أصحاب سليمان بن جرير يقول بخلق القرآن وسمعت يقول لارحم الله ابن أبي دؤاد كان الناس على جملة تؤديهم الى الله فطرح بينهم الفرقة يعني حين أظهر المحنة في القرآن

قال محمد بن منصور وكان عمرو بن الهيثم وبشر بن الحسن ومحمد ابن يحيى الحجرى دعاة لعبد الله بن موسى وهم يقولون بخلق القرآن . قال وكان عبد الله بن موسى قد بعث ابنه أو أحدهما مع بشر بن الحسن الى طاهر بن الحسين يدعوهم الى هذا الامر مع معرفة عبد الله بن موسى بقول بشر ومعرفة بشر بعبد الله وقوله بالجل فلم أر أحداً من هؤلاء دان بالبراءة ممن خالفه .

قال محمد وسمعت القاسم يقول ما رأيت كلامياً قط له خشوع ثم قال : الجمل الجمل . وقال محمد وقد عاشرت رؤساء المعتزلة ومن لأحصى منهم ممن يقول بهذا القول (يعنى خلق القرآن) متهم جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر القصبى ومحمد بن عبد الله الاسكافى فاسألتنى أحد منهم قطع من ماتختلف الناس فيه . ولا كاشفونى عن شيء من ذلك

وأخبرنى أبو سهل الخراسانى أنه كان رسول سهل بن سلامة وهو من كبار المعتزلة وعبادهم الى عبد الله بن موسى يدعوهم الى أن يتقلدوا هذا الامر ويكون سهل عوناً له عليه

قال محمد فهذا غير سبيل المنتحلين اليوم للدين وغير ما أظهروا وشرعوا من التناوب والبراءة والتكفير . وهذا هو الفرق والاختلاف الذي نهى الله عنهما في القرآن في قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وقوله « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » فأخبر الله سبحانه أن اختلافهم بغى من بعضهم على بعض

وأخبر عز وجل أن في الفرقة الضعف والفشل فحذر من ذلك بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) يقول عز وجل « فتذهب هيبتكم » فهذا ما ندب الله إليه مع . أراينا عليه السلف الصالح المتقدم الذين يصلح أن نجعلهم بيننا وبين الله تعالى لانهم لا يخلون من إحدى منزلتين إما أن يكونوا عاهوا أن الديانة فيما بينهم وبين الله تعالى القول (١) ببعض هذه المقالة التي تنازع الناس فيها حق واجب لازم وأجزاء من ذلك الاضمار ورأوا الصواب والرشد في الامساك عن الاظهار لما فيه من الفرقة والاختلاف الذي نهى الله عنه فرأوا الجمل وهو القول بظاهر القرآن كافياً مؤدياً للعباد إلى الله عز وجل فتمسكوا بذلك . فينبغي لمن أم الدين وقصد إلى الله تعالى الاقتداء بهم والتمسك بسبيلهم ، أو يكونوا لم يعتقدوا في ظاهر الامر وباطنه القول بظاهر القرآن والجمل المجمع عليها فقد يجب الاقتداء بهم أيضاً في ذلك . قال محمد وهذا أحمد بن عيسى قد اجتمع عليه المختلفون واتخذ ممن

(١) لعل القول بالنصب بدل من الديانة وحق واجب اطلع خبر أن اه مصححه عيد الوصيف

يشاركه في أمره جماعة من المتفرقين كتب إليه عبد الله بن محمد بن سليم يسأله عن القرآن وغيره فكان مما كتب إليه : ذكرت اختلاف الناس في القرآن ولم يختلفوا أنه من عند الله فهذا من أحمد دليل على أن الاخذ بظاهر القرآن والجمع عليها مجزى مؤد إلى الله تعالى وقد عامت أن رجال أحمد ابن عيسى الذين كان يوجههم في أمورهم مختلفين

منهم حسن بن هذيل على مذهب أبي الجارود ومنهم عبد الرحمن بن معمر وهو يظهر القول بخلق القرآن لا يستتر به ومخول بن ابراهيم وأمثالهم من المختلفين فلم نره بفرقة يخالف فيها أخرى وكان رحمه الله عالما بما يضيق عليه من ذلك وما يتسع له في أمر دينه ولوضاق عليه ذلك لم يفعله

وهذا الحسن بن يحيى أنا متصل به منذ أربعين سنة أو قريبا من ذلك يعاشر ضروبا من المتدينين مختلفين في المذاهب فما رأيته مع قوله بالجملة وكرهه للفرقة امتحن أحدا ولا كشف له عن مذهبه بل قد رأيته يعمهم بالنصيحة ويحسن إليهم العشرة ويترحم على من مضى من سلفه وأهل بيته ممن يوافقه في المقالة ويخالفه * هذا مع جلالة قدره وكثرة علمه ومعرفته بما يلزمه في ذلك ويجب عليه

قال محمد في كتاب الجملة وأخبرني من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبد الله أنه أوجب على من قام بهذا الأمر الدماء لجميع المتدينين وقطع الألقاب التي يدعى بها فرق المضلين وغلق الأبواب التي في فتح مثلها يكون عليهم التلف والامساك عما شئت الكلمة

وفرق الجماعة واغرى بين الناس فيما اختلفوا فيه وصاروا أحزابا والدعاء لطبقات الناس من حيث يعقلون الى السبيل التي لا ينكرون وبه يألفون فيتولى بعضهم بعضا وتدينون بذلك فان اجماعهم عليه لإثبات الحق وإزالة للباطل. قال محمد وكذلك سمعنا عن ابراهيم بن عبد الله انه سئل عن بعض ما يختلف الناس فيه في المذاهب فلم يجبه فيه وقال أعينوني على ما اجتمعنا عليه حتى نتفرغ فيه لما اختلفنا

حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوي قال أخبرنا احمد بن محمد ابن سعيد قال حدثنا محمد بن منصور قال قال لي القاسم بن ابراهيم أخبرني بعض من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبد الله بن الحسن أنه قال يجب على من قام بهذا الامر الدعاء لجميع الناس وقطع الانقلاب التي يدعى بها فرق المضلين وذكر مثل هذا الكلام* وروى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال الزم ما اجتمع عليه المتفرقون. وروى عن علي عليه السلام أنه قال يا بردها على الكبد إذا سئل المرء عما لا يعلم أن يقول الله أعلم انتهى بعض ما ذكره السيد الامام العلامة أبو عبد الله الحسن في كتابه وهو نبذة يسيرة مما ذكره رحمه الله وما زال في أهل البيت من يدعو إلى هذا ويحث عليه من متقدميهم ومتأخريهم ويوضح ذلك تأليفهم المختصرات وبسطهم في غيره واقتصارهم في العقائد على الاجمال والاشارات ومن أشهر ذلك ما أودعه محمد بن سليمان رحمه الله في أول المنتخب علي مذهب الهادي عليه السلام فانه سأله عما يكفي في معرفة الله سبحانه ودليل ذلك فاجز له الكلام في مقدار عشرة أسطر وتبرأ عليه

السلام في خطبة الاحكام من كل معتزلى غال . وكذلك كتاب البالغ المدرئله عليه السلام أجزه غاية الایجاز كما فعل في أول المنتخب . وسياتي بلفظه وكذلك السيد أبو طالب في شرحه له وكذلك السيد الامام المؤيد بالله عليه السلام في ذلك كتاب التيمرة مختصر جدا وله في آخر الزیادات تزهد كثير في هذا الفن كما مر بالفاظه . وقد توسع هذان السيدان الامامان الاخوان عليهما السلام في علوم الفقه وأصوله وصنفا في ذلك الكتب الحافلة كشرح التحرير في الفقه والحديث والامالي في الحديث والمجزي في أصول الفقه للسيد أبو طالب (وشرح التجريد في الفقه والحديث للسيد المؤيد بالله) ولم يتوسعا في علم الكلام ولم يصنفا فيه تصنيفا حافلا مع مخالطتهما لأئمتهم . وكونهما كانا في فورهم وسورته (١) وما علمت لأحد منهم عليهم السلام ولا من ذرياتهم المتقدمين في ذلك تأليفاً مبسوطاً أما ما صنفه بعض المعجم منهم عليهم السلام وتبع فيه قاضى القضاة من شرح الاصول فانه شيء نادر فيهم ليس من شأنهم مع أنه متأخر وإنما الكلام في قدمائهم والذي يشهد بما ذكرته أن من بسط التأليف في ذلك من متأخريهم على ندوره لم ينقل لهم في دقائق الكلام اختلافاً ولا اتفاقاً كما لم ينقل للسلف المتفق على صلاتهم وإنما ينقلون كلام شيوخ الاعتزال وانظر الى كتب اللطيف من الكلام مثل تذكرة ابن متوية وما شا كلها فانه لا ينقل عنهم عليهم السلام فيها شيئاً وليس لقصورهم في العلم لكن لكرهتهم الخوض في هذا الفن . وقد اشتهرت عنهم الحكايات والوصايا والاخبار

(١) الفوراني جان والسورة السطوة يريدانها متمكنان منه جدا التمكن اهمه صحيحه عيد

والاشعار فمن ذلك قول السيد العلامة يحيى بن منصور بن العفيف بن
مفضل رحمه الله تعالى في ذكر المعتزلة :

ويرون ذلك مذهبا مستعظما من طول أنظار وحسن تفكير
ونسوا غنا الاسلام قبل حدوثهم

عن كل قول حادث متأخر
ما ظنهم بالمصطفى في تركه ما استنبطوه ونهيه المتكرر
أعلى صواب أم على خطأ مضى

فن المصيب سوى البشير المنذر

أ يكون في دين النبي وصحبه نقص فكيف به ولما يشعر
أوليس كان المصطفى ببيانه وتامه أولى فليمن لم يخبر
ما باله حتى السواك أتى به وقواعد الاسلام لم تنقور
ان كان رب العرش أكمل دينه فاعجب لمبطن قوله والمظهر
أو كان في إهمال أحمد غنية فدع التكلف للزيادة واقصر
ما كان أحمد بعد منع كاتما لهداية كلا ورب الشعر
بل كان ينكر كل قول حادث حتى المئات فلا تشك وتمتري
وكذا القرابة والصحابة بعده ما بين راو ضابط ومفسر
أوين هاد للانام بعلمه أو مورد لقريبه أو مصدر
كخليفة المختار وارث علمه رب العلوم أبي شير واشهر
ما كان منهم من يرى متعمقا كلا ولا تقلوه عنه فقصر
بل جاء عنه وعنهم متواترا خطر التعمق والغلو لمبصر
(٣٠ م - ترجيح)

عن خبرة وبصيرة وتيقن لاعن قنوع قاصر وتعدر
 لكن تأسٍ منهم بمحمد وتدبر للذكر أى تدبر
 فالزم بعروة دينهم مستمسكا فلقد هديت إلى سبيل نير
 لا يخذعك زخرف متصور شتان بين تيقن وتصور
 إن الخلاف بكل فن ممكن إلا الأصول فانه لم يؤثر
 فدع الخلاف الى الوفاق تورعا فطريقة الاجماع غير منكر
 كم بين معتمد لقول ظاهر ومقال حق واضح لم ينكر
 ومجاوز حد الوفاق مخاطر قد صار بين مفسق ومكفر
 من خارج أو مرجى أو رافض
 أو ذى اعتزال مبسّد أو مجبرى
 أو غير ذلك من مذاهب حجة حدثت ودين محمد منها برى
 يكفيك من جهة العقيدة مسلم ومن الاضافة أحمدى حيدرى
 وقال رحمه الله تعالى
 ياطالب الحق ان الحق فى الجمل وفى الوقوف عن الافراط والزلل
 هى النجاة فلا تبغى بها بدلا بذا أناك حديث السادة الاول
 وقال السيد العلامة حميدان بن يحيى القاسمى رحمه الله وفى كلامه ما لم
 أذهب اليه من التهمة بتعمد العناد :
 زال أهل التفعيل والانفعال وأزيل التطريف بالاعتزال
 حرفوا محكم النصوص فصاروا قدوة التلبيس والاضلال
 ولهم فى التوحيد أقوال زور مزريات فى الزور للاقوال

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| رائقات بالين كل محال | فائقات في الذنوك كل محال |
| شاهدات لمفرغ الوهم فيها | باعتداء الحدود والايغال |
| أصلوا للقياس أصل اصطلاح | جل عن أصل صالحهم ذوالجلال |
| لقبوا الجسم بالذوات ليقضوا | باشتراك في حالة وانفصال |
| وادعوا أن للمهيمن ذاتا | شاركت ثم فارقت في خلال |
| ثم قاسوا ما فرعوه وخابوا | في شروح لهم عراض طوا |
| باجتراء في قولهم وابتداع | وبطن في زعمهم واتتحال |
| واختيال في فهمهم للمعاني | بين ليس فيه فرق بحال |
| نحو ما قد جمعت منها مثالا | ههنا فاستمع لضرب المثال |
| أزلى ثبوتيه وقديم | ووجود ما إن له من زوال |
| وكذا الفرق بين أمر وشيء | واشتراك الذوات والامثال |
| ومزيد على الذوات وغير | واقترضاء الاحكام والافلال |
| أى فرق ما بين ثنتين منها | في صحيح الذكا ووضع المقال |
| ليس ان قيل ثابت أزلى | هو الا كبرنا للتعالي |
| مثل من قال لم يزل كل شيء | ذا ذوات ثوابت الاحوال |

ما أتى التكليف قول بهذا

في مقال يروى ولا في فعال

| | |
|--------------------------------|--------------------------|
| بل أتى الامر بالتفكير في الصند | مع وترك اتباع رأى الرجال |
| غير من كان مصطفي ذا اعتصام | أو حكما في قوله غير غال |

وقال في أرجوزته التي سماها المتوكل على الله المطهر بن يحيى: المزلزلة
لأعضاء المعتزلة:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| وما الذي ألجأهم إلى الخطر | والخوض في علم الغيوب بالنظر |
| وما يقال فيه للمخطئ كفر | وفي النبي أسوة ومعتبر |
| وقدوة محمودة لمن شكر | ولم يخالف في الوهوم والفكر |
| فانه للفكر في الله حظر | وفي عيب الصنع بالفكر أمر |
| فمن يكون بعده من البشر | أدري بما يأتي به وما يذر |
| ليس الاله الواحد القدوس | كما يظنه الذي يقيس |
| اذ كل فكر دونه محبوس | وكما تخاله النفوس |
| فدرك مكيف محسوس | فاحذر شيوخا علمها تلبس |

| | |
|------------------------|--------------------------|
| وهما التدقيق والتدليس | قد حازها دون الهدى إبليس |
| ما الفرق بين مقتض وعله | وزائد وكثرة وقله |
| إلى اصطلاح قادة مضله | قد سلكوا في طرق مذهبه |
| فاقنع بنحلة النبي تحله | قنوع ذي دين مسلم له |
| فالمصطفى من أهل كل مله | أعلم بالدلول والادله |
| وبالفروض الواجبات لله | والشيخ أدنى ان يكون مثله |

الخ ما ذكره في الأرجوزة وله رسائل كثيرة في مجلد محتو على ترك التعمق

في علم الكلام والبدع في الاسلام مما لا مزيد عليه وفي مجموعه هذا تقرير كثير ممن عاضره من أهل البيت عليهم السلام كما ذكره وانه مذهب أهلهم وممن ذكر عنهم الامام المهدي الشهيد أحمد بن الحسين والامام المتوكل على الله المطهر بن يحيى وقرر ذلك بعدم السيد العلامة محمد ابن يحيى القاسمي وصنف فيه كتابا معروفاً، وكتب الامام المهدي محمد بن المطهر على كتاب السيد محمد بن يحيى القاسمي أنه معتقده الا الجوهرفان له فيه نظراً وتابعهم على هذا ولده السيد الوائق المطهر بن محمد بن المطهر وقال في ذلك في قصيدته البليغة التي أولها :

لا يستزك أقوام بأقوال ملفقات حريات بابطال

لا تتخذ غير آل المصطفى وزراً

فالآل حق وغير الآل (١) كالآل

ولولا طولها وخوف الاملال لذكرتها كلها فانه روى فيها عن أهل البيت كلهم عليهم السلام انكار مذهب المعتزلة وخوضهم فيما لا يعلمه إلا الله تعالى . وذكر الأئمة بأسمائهم منزلها لهم عن ذلك منهم علي بن الحسين ، وولده الباقر ، وزيد ، وجعفر الصادق ، والقاسم ، وابنه محمد ، والمهادي ، والمنصور ، وأحمد بن الحسين . والامام الحسن بن محمد . والمطهر بن يحيى . ومحمد بن المطهر نقلت ذلك من شرح هذه القصيدة المسمى بالآل في الدرية في شرح الايات الفخرية للسيد محمد

(١) المراد بالآل الاول أهل البيت والثاني السراب وهم صحنه عيد الوصيف

ابن يحيى بن الحسن القاسمي المتقدم ذكره وقد طول في شرحها وبين فيه طرق الرواية عنهم فأفاد وأجاد رحمه الله تعالى

وذكر الامام المنصور بالله عليه السلام في كتاب المذهب ما يدل على قول أهل الجمل * واحتج بأن رجلاً سأل أمير المؤمنين عن قسم أقسم فيه بالذي احتجب بسبع سموات وحنث فيه ، فقال له علي عليه السلام لا شيء عليك لأنك حلفت بغير الله ثم أمره بالجهاد (١) قال المنصور بالله فلم يأمره بلزوم المدرسة لتعليم الأدلة أو كما قال وكان سألني رجل من العامة عن قوله تعالى « أو من وراء حجاب » . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال كيف يحيط حجاب بالله تعالى فلم أدر ما أقول حتى نظرت فألهمني الله سبحانه إلى جواب حسن وهو أن الحجاب حجاب لا عبد يحيط به فهو المحجوب المحصور لقوله تعالى (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولم يقل إنه محجوب عنهم ثم أني وجدت لدى الصنوجال الدين الهادي بن ابراهيم قصيدة بليغة كبيرة نصر فيها هذا المذهب أولها :

أغنى الصباح عن الصباح فاعتبرى

وأنعم الفكر في الآيات بالنظر

من سير الشمس تجرى في مسالكها

وجاء في ظلمة الديجور بالقمر

(١) لعله جهاد النفس وردها عن جعل الله عريضة في الإيمان اه مصححه عيد

من علق الفلك الأعلى وسيره
 من وتدا الأرض بالشمم الجبال ومن
 من سخر الريح تجري وهي خافقة
 من أنزل الغيث وقت الاحتياج له
 من أنبت الحب بقلائم أخرجه
 من أبدع الحيوانات التي خلقت
 من أنزل البرد المجلو من سحب
 من أمسك الطير في جوار السماء ومن
 من قدر الرزق في الدنيا ويسره
 مجلجل الرعد فانظر كيف سخره
 ان كنت تجهل شيئاً من بدائعه
 فأين عقلك والفهم المميز
 لا شك في الله رب العالمين فما
 إلى قوله رحمه الله تعالى

إياك واخطر استمسك بعروة من
 قل ربى الله لا تسلك مسالك من
 فكر بنفسك يا مسكين تلق بها
 فكيف تعرف كنه الذات من ملك
 لم يُلج طالب توحيد إلى الخطر
 لم يلق من سفر إلا عنا السفر
 ما ليس تعلمه من فكرك النظرى
 ملوك يا عبد ما أولاك بالقصر

وقد اختصرت فيها كثيراً بحجة للاختصار
ومما قلت في ذلك وقد سألتني بعض الاخوان القراءة على في
بعض كتب المنطق

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| يا طالب العلم والتحقيق في الدين | والبحث عن كل مكنون ومخزون |
| أهلاً وسهلاً عسى من رام تبصرة | منى وهدياً إلى الخيرات يهدينى |
| لكن أظعن وأنصف في الدليل معى | فن يقد فيه لا يواتينى |
| أمرت أن تطلب الدين الحنيف ولو | بالصين أو بالأقاصى من فلسطين |
| والعلم عقل ونقل ليس غيرهما | والعقل فيك وليس العقل في الصين |
| أمرت أن أطلب العلم الشريف ولو | بالصين إن كان علم الدين في الصين |
| والعلم بالعقل علم لا يشط به | عن أهله فلو ات البين في البين |
| ففي حديث ابن عمران لنا عبر | فانظر إلى شأن موسى صنو هرون |
| مارام سعيًا إلى معقوله حقبا | فعنده العقل بل عند الشياطين |
| بل رام مكنون علم ليس يدركه | فهم العقول بمعلوم البراهين |
| مواهب من يقين غير ممكنة | للخلق تهجم في سر وتهوين |
| وواردات من الايمان ليس تطيه | ق النفس جحد هدى منها وتبيين |
| تكون عند وقوع الخارقات وعنه | بالفكر منها وبالاخبار والدين |
| وبالتضرع عن ذل ومسكنة | تمكن العبد منها أى تمكين |
| به اطمأن خايل الله حين دعا | موتى فأحى له الاطيار في الحين |
| ومؤثر الحق أغناهم بغير غنا | نعبان موسى المثنى في الفراقين |

| | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| وذا دليل كلم الله في الشعرى | وجهة الله في بعث الميامين |
| وقوم عيسى أرادوا منه مائدة | ليطمأنوا بها لا وضع قانون |
| وعلى الله في القرآن ودم | لنا وعرفاتهم بالسمع والدين |
| وقوم أحمد لما جاء ذكرهم | أغنت طواميه عن طل المساكين |
| وكان أعظم في الاسلام مرتبة | من كل مامر في ماضى الاحايين |
| وأى معجزة دامت مكلمة | لنا بكل المعاني والبراهين |
| فلم يجيبهم أمين الله مكتفيا | به إذا لم يكن فيهم بمؤمن |
| وانظر كلام على في وصيته | ريحانة المصطفى خير الرياحين |
| وسائر الآل قدأوصوا من العلم الـ | منصوب فينا إلى الهادى بصفين |
| وأم موسى اطمانت حين ما طرحت | موسى بوحي وحق غير مظنون |
| أمثل هذا من التدقيق مكتسب | أم من ابانة قلب غير مأفون |
| ومريم حين جاء الروح في مثل | لها بسر من الرحمن مكنون |
| بأى شيء من الاسباب نزها | في المهدأى مزكى الذات ميمون |
| بالخوض في جدليات الاوائل أم | بالاعتزال وذكر الله والدين |
| ومثله في جريج والرضيع وفي الـ | أخدود وهى صحاح في الدواوين |
| وفتية الكهف قد قص الآله لنا | حديثهم وأحاديث الميامين |
| هذى الخصاص والمعقول نعمته | مبدولة بين مهدى ومفتون |
| فواضح العقل معروف وغامضه | مواقف ومجازات لذى الدين |
| إن البصائر كالأبصار ليس ترى الـ | خفى جدا سوى رجهم وتظنين |
| لذا تخالف أهل العقل واضطربوا | فيه كعادتهم في كل مظنون |

قلبت ذا العلم من بعد الرسوخ به واعتضت بالذكْر منه غير مغبون
ما فيه الاعبارات مزخرفة اتى بهن ابن حزم بالتباين
كم من فتى منطقي الذهن ماخطرت بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقي كافر نجس كالكلب بل هو شر منه في الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة فهما ويسخر من طه ويس
كذلك الرسل لم يعنوا بذلك إلى محمد من سليل الماء والطين
بل اكتفوا بالذى فى العقل مع نظر سهل بغير شيوخ كالاساطين
مع اعتراض شياطين الخصوم لهم وشهرة الطعن فى كل الاحايين
وربما كان فى التدقيق مفسدة للقلب أو لاقتراق الناس فى الدين
مثل الغلو بأفعال الجوارح كما وصال والاختصاص خوفا من العين

والله أعلم والرسول الأكرم من شيوخ جبة (١) قطعاً غير تخمين
وانما ذكرت هذه الايات لانها لم تحفظ فى غير هذا الموضع مع
غرابة معناها فانى إنما أخذته من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم
فى كلامه المشهور لكميل بن زياد حيث قال عليه السلام فى وصف
العلماء: هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلنا ما استوعره المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ووجه الاخذ منه أن لفظ الهجوم إنما
يستعمل فيما حصل دفعة واحدة موهبة من الله من غير كد الخواطر فى الدقائق
والتولج بالانظار فى مضائق المزالق . وقال فى ضياء العلوم يقال هجم

(١) بضم الجيم وتشديد الموحدة قرية بالعراق منها أبو على وأبو هاشم المعتزليان
وهما المرادان هنا اه

الرجل القوم إذا أتاكم بغتة . وهجم على العدو هجوماً ، وهجم على ما في نفس فلان* وذكر بعض العارفين في شرح كلامه عن ابن تيمية قصة مضمونها : أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أو نظيره وصل إلى الري وكان بمنزلة عظيمة في الصلاح والكرامات والمكاشفات فتلقاه الناس متبركين به وكان من جملة من تلقاه الرازي فلم يزد على الناس في الاكرام . ولم يرفع مرتبته على سائر من تلقاه من العوام فلما استقر الشيخ عبد القادر في رباط من ربط الصوفية قصده الرازي وخالبه وأخبره أنه عالم البلد وأنهم يعتقدون في الشيخ . أنه لا يهين أحداً ولا يرفعه الا لمعرفة سريره وأنه ان لم يميزه عن العامة بنوع من الاكرام حسبوا أنه قد كشف له عن باطن أمره حال قبيح وفي هذا مفسدة فقال الشيخ وأي العلوم علمك فقال علم التوحيد أمليت فيه قبل وصول الشيخ ثلاثين برهاناً وقريباً من ذلك فقال الشيخ ليس ذلك بالتوحيد قال الرازي فأفدني ياسيدي قال الشيخ التوحيد واردات ترد على نفوس تعجز النفوس عن ردها قال فجعل الرازي يتحفظ هذه الكلمات ويردها حتى خرج من عند الشيخ . وفي هذا المعنى قول الله عز وجل (فمن ير د الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . وقوله لولا أن ربطنا على قلبها) . وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أن تجعل القرآن ربيع قلبي . ونور صدري . وقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وفي تقيض ذلك قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم) . وقوله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جثتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أئمة المبطلون)

كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفناك الذين لا يوقنون)

ومما يقوى قول أهل الاكتفاء بالجلل وطريق السلف قوله تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقوله تعالى (قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) وقد تقدم ذكرها وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) فانه الظاهر من جهة البصائر الجلية الجملية والباطن من جهة الابصار والتفاصيل الخفية فلو خفي من الجهتين معاً لكان باطنا من كل وجه غير ظاهر من كل وجه ويوضحه من السنة على صحتها حديث (كل مولود يولد على الفطرة وأما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) بل قد ورد القرآن بأن ذلك هو الفطرة في قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ويؤيده ان من عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار قد ذكروا فيه أنه ساحر وكرروا ذلك ولهجوا به فلم يحرر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم جواب ذلك بذكر الفروق بين الساحر والمعجز بل نظموا قولهم انه ساحر في نظام قولهم انه لمجنون وكذب ساحر صانه الله عن ذكر ذلك لعلمهم بتعمد الكفار للعناد والبهتان في جميع ذلك ومن ذلك اسمه تعالى الحق المبين فانه حق في نفس الامر مبين لسكونه حقاً بمصنوعاته وألطافه في تعريف خلقه، كل بما يليق بحاله سبحانه وتعالى قالوا يقال للمخالف ما تقول اذا وردت شبهات الملحدين وقد ساعدك الناس على اجمال النظر في علم الكلام وهل هذا الا يكيد في الدين

والجواب يتم بالكلام في مقامين

المقام الاول دفعنا للشكوك الواردة عن نفوسنا وهو أسهل المقامين
لانه لا مفزع حينئذ الا الى نظر العقل المخلوق كاملا وامداد الرب له بالهداية
وهما حاصلان بفضل الله سبحانه من غير حاجة الى علم الكلام كما حصل للسلف
والذين ابتدعوا علم الكلام ولا يحتاج في هذا المقام الى تحسين العبارة
وقد طولت الكلام في هذا المقام في العواصم

وأربد هنا وجهين: أحدهما ما ذكره السيد المؤيد بالله في الزيادات وقد تقدم
قريباً منقولاً بغير وفه وثانيهما أن المتصور ورده مجهول العين ويستحيل الجواب
التفصيلي على شبهة ترد في المستقبل محتملة لم تتعين ولا يفي علم الكلام هاهنا وإنما
ينفع علم الغيب، ومن العجائز بالاجماع أن ترد هذه الشبهة على دقائق
علم الكلام وتحير المبرز فيه وتبطل المعجب به وربما تولدت من تدقيقه على
قدره وكان بالنظر فيه كالباحث على ختفه بظلفه

وبيان هذا أن مثل المستعد للشبهة المجهولة بتقديم النظر في الدلائل
مثل من يستعد للسموم القاتلة بشرب الادوية الحادة التي ربما قتلت شاربها
حين لا يجد ضدا يدفع طبيعتها ويستحيل تقديم التداوي من داء لم يتعبن ولم
يعرف أهو من قبيل الحرارة أو البرودة أو غيرها من الطبائع أو هو مركب
من الطبيعتين. وربما ورد داء يعجز عنه الطبيب الماهر باتفاق الاطباء
ولذلك تجد أكثر الضالين في أنفسهم المضلين لغيرهم من أهل النظر
وأكثر أهل السلامة باقرار أهل النظر من أهل الجمل ولذا قال أبو القاسم البلخي
في مقالاته في ذكر العامة هنيئاً لهم السلامة ومن ثم لم يردعن الرسل عليهم السلام

الخوض الكبير في علمي الطب والكلام .
 وخلاصة الكلام أنه لا بد من تجويز شبهة لم يتقدم تحرير جوابها
 وإن خاض في الكلام ألف عام وهذا متفق عليه فما كان أن يصنعه
 المتكلم والسلف صنعه كل مكلف

﴿المقام الثاني﴾

(في هداية الخصوص والكلام فيه من وجوه)

(الاول) أن الحجة عليهم الله سبحانه قد تمت قبل نصبنا ونصبكم
 للبراهين بما خلق الله لهم من العقول وأرسل إليهم من الرسل . وبين لهم
 ما في كتبه الكريمة من الأدلة ، فكما أنهم لو ماتوا قبل مناظرتكم لهم حسن
 من الله تعالى تعذيبهم لتقدم كمال الحجة عليهم . فكذلك يحسن منا قتالهم
 وقتلهم قبل مناظرتهم . وإنما ورد في الشرع دعاؤهم الى الاسلام قبل
 القتال فلم يوجبها أحد بالاجماع . ومن جحد آيات الله وبراهين القرآن
 الجليلة فهو لدقائق الكلام أجحد . ومن قبولها أبعد . ولكن المبطلين
 كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله تعالى (فأما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا
 سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى حاكيا عن
 موسى عليه السلام (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات
 والارض بصائر واني لأظنك يا فرعون مشبورا) وقال تعالى (قالت رسلهم أفي الله
 شك فاطر السموات والارض) قالوا ذلك لما قال لهم الكفار (إنا كفرنا بما أرسلتم
 به وإننا لنفي شك مما تدعوننا اليه مريب) وفي قول الرسل عليهم الصلاة والسلام
 (فاطر السموات والارض) تنبيهه على الدلالة على الله بذلك وأنه كاف لا يحتاج الى

زيادة عليه . فان كان مرادكم الفصل بين المختلفين وجمع ، كلمة العالم أجمعين ، فذلك غير ممكن لاحد من المخلوفين . ولا يقدر عليه الا رب العالمين . كما قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد) ولهذا سمي الله تعالى يوم القيامة يوم الفصل الوجه الثاني أن في المتكلمين من المعتزلة وغيرهم طوائف لا يوجبون النظر في علم الكلام منهم أهل المعارف الضرورية ولا يلزمهم ترك النظر مطلقا فكذلك نقول فان قيل فيم ينظر الناظر (قلنا) فيما أمر الله بالنظر فيه وفيما نظره السلف . وإن كان المنظور فيه أمرا ضروريا . فان معنى النظر فيه استحضار تصوره ودوام التذكر له وترك السهو والغفلة عنه ولذلك شرع الفكر في الموت والمرض ونحوهما مع انها أمور معلومة بالضرورة فالغفلة عنها أقبح غفلة وأضرها قال تعالى (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وقال تعالى (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) وقال تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) ومن ثم حسن الخبر بالموت بل دخول المؤكدات على الخبر في قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقال (تعالى) ثم إنكم بعد ذلك لميتون) فان الاخبار بالمعلومات لا تصح ودخول المؤكدات على الاخبار بها لا يحسن لولا أنه نزل مخاطبين لشدة غفلتهم عن هذه المعلومات منزلة الجاحدين المنكرين لها كما ذكره علماء المعاني في قول الشاعر:

جاء شقيق عارضا رحمه ان بني عمك فيهم رماح

وغاية ما اشتملت عليه كتب الدقائق المبكية والمواعظ المشجية هو التذكير بالضروريات فكيف يقال فيمن ترك النظر في علم الكلام والتعمق في دقائقه إنه يلزمه اهمال الفكر والنظر فيما ورد في القرآن والخبر والأثر ولقد صنف الجاحظ وهو ممن يقول إن المعارف ضرورة كتاب العبر والاعتبار فأثنى فيه بما يقضى له بعلوم القدر في العلم وتعمقه في التفكير في عجائب المخلوقات الضرورية وكذلك النظر في علم التشريح وعجيب خلق الانسان والتأمل لما يدرك من ذلك بالعيان ، وقد حث الله تعالى على النظر في المشاهدات قال تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها) وقال تعالى (أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير) وقال تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وقال تعالى (أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون) وقال تعالى (وأن لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) الآيات وقال تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها وألق في الأرض رواسي أن تميد بكم) الآية

لكن المخالف يقول ان المراد بالنظر في هذه الأمور نظر بخصوص ينبغي على مقدمات مرتبة مركبة تركيباً مخصوصاً على وجه ينتج العلم على سبيل الاختيار وغيره يقول إن المراد بالنظر الفكر الذي يهجم على القلوب بعد

حرف اليقين ورسوخ الايمان وتعظيم المعبود أو احدهما ويتفاوت
الحاصل من ذلك تفاوتاً لا يقف عند حد، وربما أبكى أو اقلق أو أصعق على
حسب حكمة الله تعالى فيما يهبه للعبد عقب النظر وعدم الاختيار فيه عقب
النظر وتفاوته معلوم - وعلى هذا ما قال الشيخ مختار بن محمود المعتزلى في كتابه
المجتبى في حد حقيقة النظر: انه تجريد العقل عن الغفلات . وحكى عن
شيخه محمود الملاحى انه لا يشترط في العلم بالله ان ينبنى على المقدمات
المنطقية والاساليب النظرية كما سيأتى ان شاء الله تعالى وكيف ينكر هذا
ويستبعد وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن الهدهد وهو من العالم البهيمى انه
وحد الله تعالى * واحتج على صحة توحيده بذلك حيث قال سبحانه كما كيانه
(ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) يعنى المطر والنبات
فاحتج بحدوث هذين الامرين المعلوم حدوثهما مع تكررهما وحاجة جميع
الحيوانات اليهما مع أنه ما قرأ فى المنطق ولا عرف علم الكلام . وقد قرر الله
سبحانه وتعالى كلامه وحسنه ، فكيف لا يحسن مثله من انسان ناطق
عاقل مكلف مخاطب . وسوف يأتى الدليل على بطلان قول من
تأول كلام الهدهد * وتوضيح الأمر فى ذلك قال الله تعالى « قتل
الانسان ما أكفره، من أى شئ خلقه ، من نطفة خلقه فقدره »
وحاصل هذا أن النظر عند أهل المعارف أو بعضهم شرط اعتبارى
ووقوع العلم واليقين بعده ، كوقوع الرقة والبكاء والخشوع ونحو ذلك مما
هو من فعل الله سبحانه وتعالى ، ونفعه معلوم وان لم يقع على ترتيب
نعم - ترجيح

أهل المنطق : ومستند العلم التجربة الضرورية فانه يقع للصالحين ممن لا يعرف ترتيب المقدمات بذلك النظر من اليقين والخشوع ما لا يقع للمتكلمين . بل قد قال القاسم عليه السلام ما رأيت كلاميا قط له خشوع الجمل الجمل

وقد اشتملت خطب أمير المؤمنين ومواعظه وسائر الأئمة على أدلة التوحيد من غير ترتيب مقدمات المنطقيين ولا تقاسيم أساليب المتكلمين ودرج السلف على ذلك . وكان مما استجادوه وساريتهم قول زيد بن عمرو ابن نفيل رحمه الله تعالى :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| رضيت بك اللهم ربا فلن أرى | أدين إلها غيرك الله ثانيا |
| وأنت الذى من فضل من ورحمة | بعثت إلى موسى رسولا مناديا |
| فقلت لموسى اذهب وهرون فادعوا | إلى الله فرعون الذى كان طاغيا |
| وقولا له هل أنت سويت هذه | بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا |
| وقولا له هل أنت رفعت هذه | بلا عمد ارفق اذا بك بانيا |
| وقولا له هل أنت سويت وسطها | منيرا إذا ماجنه الليل هاديا |
| وقولا له من مرسل الشمس غدوة | فيصبح مامست من الارض ضاحيا |
| وقولا له من ينبت الحب فى الثرى | فيصبح منه البقل يهتر رايا |
| ويخرج منه حبه فى رموسه | وفى ذاك آيات لمن كان واعيا |

فهذا أسلوب الانبياء والاولياء والأئمة والسلف فى النظر . وخالفهم بعض المتكلمين وأنواع المبتدعة ، فتكلفوا وتعمقوا وعبروا عن المعانى المجلية بالمبارات الخفية ، ورجعوا بعد السفر البعيد الى الشك والخيرة والتعاضد

والتكاذب وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع في الخيرة والأمر
المشكلة المتعارضة فقال ابن أبي الحديد وهو من كبراء المعتزلة بـمـدعـظـيـم
توغله في علم الكلام :

فاذا الذى استكبرت منه هو
فظللت في تيه بلا علم
وقال الشهرستاني في أول نهايته:

وقد طفت في تلك المعاهد كلها
فلم أر إلا واضعا كف حائر
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
وقال الرازي في مثل ذلك :

العلم للرحمن جل جلاله
مال التراب والعلوم وانما
وسواه في جهلاته يتغمغم
ولما أيضا:

نهايات إقدام العقول عقل
وقال صاحب كتاب الامام :

تجاوزت حد الأكثرين الى العلا
ولججت في الافكار ثم تراجع اخ
وسافرت واستبقيتهم في المراكز
وللشيخ العارف القدوة عمر بن محمد السهروردي كلام جيد في هذا
المعنى ذكره في الباب العاشر من كتابه عوارف المعارف ومنه:

(١) الضمير في خلقت للأجسام المخلوقة من التراب ، والمعنى ما للأجسام الترابية
المظلمة ودرك نهايات العلوم النيرة اه مصححه عيد الوصيف

ان الملك طاهر الكون، والملوك باطنه، والعقل لا يدخل الملوك ولا يزال مترددا في الملك، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية، والعقل لسان الروح، والبصيرة التي هي الهداية قلب الروح، واللسان ترجمان القلب. فكلمنا ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه. وليس كل ماعند الذي يترجم عنه يعبر إلى الترجمان. فلهذا المعنى جزم الواقفون مع مجرد العقول العربية عن نور الهداية التي هي موهبة من الله تعالى عند الانبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان، وحرمانهم غاية البيان اه مع اختصار بعض ما ذكره نفع الله بعلومه. وكلام هذه الطائفة في مثل هذا الكلام ذوق لإسبيل إلى كشف صبحته إلا بالتجربة. وهو نظير كلام الاطباء في الطب.

﴿ الثالث ﴾ أنها وردت نصوص تقتضي العلم أو الظن أن الخوض في علم الكلام على وجه التقصي للشبهة والاصغاء إليها والتفتيش عن مباحث الفلاسفة والمبتدعة المشكلة في كثير من الجليات مضرّة عظيمة ممرضة لكثير من القلوب الصحيحة. ودفع المضرّة المظنونة واجب عقلا وقد شهدت بذلك التجارب مع النصوص وضل بسببه اثنتان وسبعون فرقة من ثلاث وسبعين فرقة وهذه الاشارة بالنصوص اشارة الى مجموع أشياء كثيرة:

(منها) النواهي عن البدع (ومنها) النواهي عن الرأى مطلقا وهو

ما يظن أنه لا يفيد بخلاف المجادلة. بالتى هي أحسن (ومنها) النواهي عن المراء في القرآن (ومنها) النواهي عن المراء في القدر خاصة (ومنها) النواهي عن التفكير في ذات الله تعالى (ومنها) الاوامر عند الوسوسة بما ينافي طرائق أهل الكلام وفي ذلك خمسة عشر حديثاً في الكتب الستة ومجمع الزوائد أشرت الى بيانها في العواصم (ومنها) أحاديث الاسلام والايمان المتواترة التي تقتضى قواعد الكلام منافاتها لإلامع التأويلات المتعسفة ويشهد لذلك من كتاب الله تعالى قوله تعالى «إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير» فهذا مطابق لما ورد في الحديث من الاستعاذة بالله تعالى عند السؤال عن الشبه وقال تعالى «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل موثهم تشابهت قلوبهم قدينا الآيات لقوم يوقنون» وقال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ» وقال تعالى «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» ولم يقل بعد المتكلمين، والحمد لله رب العالمين * وكيف يطمع الجدلى في هداية المعاندين واعترافهم له، وقد حكى الله اصرارهم على المجاحدة بقوله (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) بل حكى الله سبحانه اصرارهم على الجحد والناد يوم القيامة بما لا يمكن تأويله وذلك قولهم لجوارحهم حين جحدوا فأنطقها الله بالشهادة عليهم فقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا

قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . فمن بلغ هذا الحد في اللجاج كيف يجب في النظر الاشتغال بمناظرته بعد أن جمعد الرسل وما جاءت به من أيين الآيات، ولعلم الله تعالى بذلك، قال لرسوله خاتم النبيين ومفصم المبطلين والحجة الكبرى على المعاندين صلوات الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين (وإدع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم * فإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) وقال « فإن حاجوك فقل أسأمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإمأ عليك البلاغ والله بصير بالعباد » فهذه هي المجادلة بالتي هي أحسن للمأور بها وقد حكى الله سبحانه وتعالى مجادلة الانبياء في كتابه لأنواع الجاحدين فلم يكن فيها شيء يتوقف على معرفة دقائق الكلام والمتكلمين وقد بسطت هذا المعنى في العواصم فمن لم تكفه هذه الإشارة فليطالعها هنالك والله الموفق وبيده الحلول والقوة

ولما فرغت من هذا القدر في هذا المختصر بلغنى سؤال يتعلق به من بعض المسترشدين فكمملت بالجواب عليه الفائدة بمن الله تعالى ورأيت الحاقه به واتصاله لائقا وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي من علينا بالتألف بين قلوبنا بجماع الايمان ، وأمرنا بالتحاب والتعاون بقدر الامكان ، وخص من عموم ذلك ماورد من الامر بالانفراد في آخر الزمان ، رحمة للمؤمنين وتيسيرا من الرحمن، ونهانا عن التفرق في دين الاسلام والابتداء، وألزمنا الاقتداء برسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأتباع ، خصوصا مذك قال

تنصيصا وتنبيها (اليوم أكمّلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فكان في جوامع ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الزواجر (لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وأمره بالأعراض عن الجاهلين، ونزّهه سبحانه للمقتدين من تكلف المتنطعين فقال حاكيا عنه (وما أنا من المتكلفين) فمن لم يتكلم في الروح وقد عولت الخصوم عليه تعويلا، حتى نزل في ذلك (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وربما ترك الجواب مع وضوح ماسئل عنه مما لا يحتاج، كراهية لما لا يفيد من الجدال واللجاج، كما فعل نبينا مع ابن الزبير عليه أفضل الصلاة والسلام وآله الكرام حين تعرض للقدح في كلام الملك العلام (هذا) وهو المبعوث رحمة للعالمين، والمنصوب لبيان مشكلات الدين، والموصوف بالخلق العظيم والمعلوم انه على الصراط المستقيم، وتلته الصحابة رضى الله تعالى عنهم فأحسنوا في الاقتداء بخاتم الرسل وأقروا عمر بن الخطاب على مثل صيغة ابن عسل (١) انتهاء بنبيه وطاعة لأمره وخوفا من الدخول في وعيد الذين يخالفون عن أمره، وكيف لا يحافظون على ذلك وقد قال سبحانه تبجيله وتكرما (فلأوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فلو لا ما استثناه الله سبحانه من المجادلة بالتي هي أحسن . على من لا يملك من الآيات والآثار والعرف المستحسن . تركوا الجلي كما تركوا الحق تماما باطلاق النهي الصادر من اللطيف الخبير . والصلاة والسلام على النبي وآله الطاهرين أجمعين .

(١) كذا وفي أخرى بضيع بن عسل . وأخرى بن يصنع عسل اه مصححه

وعلى آله حمة الاسلام. والهداة الى الايمان، ما كرا الجديدان واعتقب اللوان.
(وبعد) فاتهما لما وصلت إلى الاسئلة الخفية عن وجه تنجني لمنهج أهل
الكلام الخفية. صادفت منى قلبا قد غلق أبواب الدقائق. وترك الاستعداد
لللقاء فرسان هذه الحقائق. وصم عن الداعي اليها مسمعا. ولم يتمن ما تمنى
ورقة بن نوفل من كونه فيها جذعا. وكيف وقد رجحت الصوارف عنها
وجاء المثل: حسن قدح ليس منها. ومن أعظم الصوارف دنوا لاجل، والهمم
بالاستعداد للقاء الله تعالى عز وجل، فإن لكل مقام مقالا. ولكل حال
أعمالا. وإن كنت لم أفعل جميع ما وقع به الاهتمام. وما أملت إيثاره
بين يدي الحمام. فالهم القوي كاف في الصرف عن الاقبال. فكيف وقد
تشاغلت ببعض ما تعلقت به الآمال. وتعللت على أكرم الاكرمين وأرحم
الراجين بالوقوف في أبوابه. ومداواة قاسي طباعي بلطيف خطابه. وإيثارى
في خاتمة عمرى لسنة رسوله وكريم كتابه، ثم لزم البيت وآثرت
الخنول. وتركت لو تركت الفضول. وتمثلت بقول الزمخشري رحمه الله
حيث يقول:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أطلب أبا القاسم الخنول ودع | غيرك يطلب أساميا وكنى |
| شبه ببعض الاموات شخصك لا | تبرز إن كنت عاقلا فطنا |
| علك تطفىء ما أنت موقده | إذ أنت في الجهد تخلع الرسنا |
| إدفعه في البيت قبل ميته | واجعل له من خوله كفنا |

وعملت على كلام السيد العلامة الامام المؤيد بالله في استحباب ترك
مالا احتاجه من الخوض في علم الكلام. وترك احتجاجي بما لا ينازع فيه عاقل.

ولا يخالف فيه الا جاهل أو متجاهل ، من اثار الضروريات اليومية على الحاجات الاملية ، فان الضرورية بلا قيد أقدم من الحاجة . كيف إذا تعينت الضرورية وتضيقت . وتأخرت الحاجة وتوسعت . وعلى ذلك درج السلف الصالح ، ومن اقتدى بهم من المناظرين في ترجيح متعارضات المصالح * ومن الصوارف عن ذلك شدة المحبة لكتاب الله تعالى وستة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . وعلى ذلك من الاثر ما لا ينكره منصف ولا يحجده الا متعسف . ولا شك أن كل مسلم يحب كلام الله تعالى ويمعظم كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن للمحبة والتعظيم مراتب متفاوتة ومقامات متباينة . ولا ريب أن بعض الفنون أحب إلى بعض الناس من بعض . بل بعض كتب الفن الواحد أحب إلى بعض أهله لما فيه من الخواص وإذا علمت بانه متفاضل فاشغل فؤادك بالذى هو أفضل

وقد وضعت كتابا في تفضيل الاقبال على هذين العمودين والاستضاءة بأوار هذين النيرين . وذلك من دلائل شغفي بهما ، وذى لمن استقصر قدر معارفهما ، وبقي سبيلهما عوجا ينفر عنه قاصديهما ، ومن ولع بشيء ولع بتمهيد الوسائل اليه ، وقطع شبه الصادقين من التعويل عليه ، ولم يكده ينتفع بسواه ، ولا يهتدى الا بهداه ، وهذا معروف في طبائع المخلوقين ، كما قال بعض المحبين :

ولو داواك كل طيب داء بغير كلام ليلى ماشفا
فاذا تقرر هذا في غير حب الله سبحانه فالذين آمنوا أشد حبا لله
وسياقى كلام الهادى فى الحث على ذلك ، والتفضيل لهذا المسلك على

سائر المسالك ، وخشيت أن أقطع العمر في الوسائل وما وصلت الى المتوسل اليه ، وتموطني العوائق والعياذ بالله عما لا يعول إلا عليه ، فأكون كمن بالغ في الوضوء واجتدع ، حتى خرج وقت الصلاة وضاق عليه ما اتسع * وقد رأيت الزمخشري رحمه الله خص هذين العاملين الشريفين بالتوسل بهما الى الله سبحانه في رقائق أشعاره ولم يذكروا في توسله غير الكشف والفائق من محاسن علومه وآثاره فأحببت أن أختم عمري من طيبهما بما هو أحسن من ختام المسك . وأستحضر من مقدماتهما ما ينتج الرفق والنسك ، وقرعت في أوقات الرقة أبواب المنح ، ومن دق باب كريم عليه فتح ، ولا ينبغي أن يضرب عما عن ويحتجب في الحديث (يستجاب للعبد ما لم يقل قد دعوت ودعوت فلم أجب) ولا يرد على هذا مناقضته بسوء ما أنا عليه من الحالة بالنظر الى الاخبار . فذلك هو الموجب للاهتمام باقرب الطرق إلى النجاة من النار ، والتشبه بما كان عليه الابرار من العزلة والفرار . والاشتغال بالقراآن والآثار . والاذكار والاستغفار . بلسان الانكسار والاضطرار :

وهم الاساة فناد في عرصاتهم أضحى بيا بكم العليل فمضوا

ومن الصوارف عن ذلك ، الموعرة لسلوك هذه المسالك ، عدم وجدان الصديق الصدوق البرى من الجفا والعقوق ، القائم بالأخوة من اللوازم والحقوق ، ميمون الخلأئق ، مأمون البوائق ، ربانى الهممة رهبانيتها ، برهانى المعارف قراآنيها

صموت إذا ما الصمت زين أهله وقتاق اكمام الحديث المحكم

وعى ماوعى القرآن من كل حكمة ونيطت له الآيات باللحم والدم
وما تركت الطلب حتى طال ارتيادى له بالجد والعهد . فكنت كلما
وجهت أملى الى وجهة لم ألق إلا بنى سعد لعدم الحظ لا لعدم المطلوب . فكم فى
الباب من علم منصوب ، ووجيه محبوب . وصادق مجذوب . حتى
عاد البصر خاسئاً حسيراً . كأنما سمته أن يرى فى خلق الرحمن تفاوتاً وفطوراً .
ولا منى فى الطمع كل عارف نصيح ، وأنشدونى فى ذلك كل قول فصيح
ومعنى صحيح : فمن ذلك قول الزمخشري :

تيممت أسأل من عنّ لي من الناس هل من صدوق صديق
فقالوا عزيزاً لا يوجد ن صديق صدوق ويض الانوق
وقول الآخر :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجد ان فدع عن نفسك الطمعا
وكم سعى لهما قوم وكم جهدوا فما أظنهما كانا ولا اجتماعا
وقول الآخر :

من لك بالمهذب النذب الذى لا يجد العيب إليه مختطى
وقول الآخر :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب
وقول الآخر وهو الذى اطرب الرشيد :

غد يرى من الانسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن صرت طوع يديه
وانى لمحتاج إلى ظل صاحب برق ويصفون ان كدرت عليه
وأحسن منه :

ومن عدم الانصاف أنك تبتنى الى مذهب في الدين ولست المهدبا ومازلت في زمن الحداثة وايام الغزارة أسد سمعى عن كل نصيحة. وأرد بطبعي في هذا كل حجة صحيحة، وحبك الشئ يعنى ويصم . ولا ينجو من الهوى الا من عصم . حتى اسفر لى وجه الخبرة عن أحوال الرجال . فنادى مؤذن التجارب الصلاة فى الحال ، وأمر الفصحاء برفع الاصوات بالندارة من كل منارة ، فتارة وعيت ، فتول عنهم فما أنت بعلوم (واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) وتارة أسمع (يوشك أن يكون خير مال الرجل المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر . يفر بدينه من الفتن ، إثمروا يينكم بالمعروف ونهاهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاططا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة واعتزل تلك الفرق كلها . ولو أنك تمض على جذر شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك . والزم بيتك وخذ ما تعرف واترك ما تنكر . ليسمعك بيتك وابك على خطيئتك)

وتارة أتأمل قول على عليه السلام : ووالله لولا رجائي الشهادة عند لقاء عدوى لو قد حم لى لقاءه لشخصت عنكم ثم لا أسأل عنكم ماختلف جنوب وشمال ، وشاع هذا المعنى وذاع ، حتى نظمه البلغاء على أساليب تهزلها الطبايع . وتلتذ بها الاسماع . مثل قول بعضهم :

كيف التخلص والبسيطة لجة والجوا أسعهم بالمصائب مثجم

أسرج وألجم في الفرار فكلهم
وقوله : فيما يسوءك مسرج أو ملجم

نهيتك عن خلاط الناس فاحذر
وهديتك ما هويت لك اقترابا
وقوله وأجاد فيه :

وما عفت وردى لارتواء وجدته
فلا تشغلني بالحديث وخلي
فعمدت على ذلك اعتقادي . وعزمت على لزومه بعد أن همت في
كل وادي (١) وقنعت من الغنيمة بالاياب . حتى سامت في سفرى من انذئاب
المدلسة بلبس الثياب . وانها والله بدليل العقل والحس ، أخبت نوعي هذا
الجنس . لاسيما من كان ظاهره بالزهادة متحليا . وباطنه من حلية
الاخلاص متخليا ، وقد أبدع الزمخشري وأجاد في قوله في هذا الجنس من
العلماء والزهاد :

إني على ما أراكم لا احذركم
لكن احذركم من ينهري لكم
صلاته الرمح والتسييح أسهمه
معرة اللص (٢) والا كراد والفسقة
في هيئة الزهد لكن همه السرقة
وصومه سيفه والمصحف الدرقه .
فبقيت في هذه المدة المديدة سنين عديدة .

قد اعزلت الرافضي جانبا
واعترضت عن خطاب كل جاهل
وقلت لا تفتريا في خبري
والناصبي والمجترى والمجير
خطاب فكري أو خطاب دفتري
فقد نبذت كل خل مفتر

(١) أثبت ياء المنقوص للسجع (٢) وفي القاموس أموره سلبه ماله أمه مصححه

وقد قلت في ذلك مجيبا على من لام وعاب ، من الاهل والاحباب
 لامني الاهل والاحبة طرا في اعتزالي مجالس التدريس
 قلت لا تعذلوا فما ذاك مني رغبة عن علوم تلك الدروس
 هي رياض الجنان من غير شك وسناها يزرى بنور الشمس
 غير أن الرياض تأوى الافاعي وجوار الحيات غير انيس
 حبذا العلم لو أمنت وصاحب مت إماما في العلم كالقاموس
 غير اني خبرت كل جليس فوجدت الكتاب خير جليس
 ورضيت المروى عن جدى القا سم من جامع علوم الرسوس
 فدعوني فقد رضيت كتابي عوضا عن أنس كل أنيس
 وللم أسلم من القيل والقال ، بعد الفرار والاعتزال ، أعجبنى أن أصل هذه
 الايات بقول من قال :

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا من أمانتنا بعلق نفيس
 غير أن الزمان (أعنى بنيه) . حسدونا على حياة النفوس
 وهذان البيتان زادهما قائلهما على قول بعض العارفين :

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا . واستبدوا بالرأى دون الجليس
 أوصحبنا التجار عدنا إلى اللو م وصرنا إلى حساب الفلوس
 فلزنا البيوت نستعمل الحب رونا نطلى به وجوه الطروس
 ونناجي العلوم في كل فن عوضا عن منادات الكؤوس
 وقنعنا بما به قسم الا ه ولم نكثر بهم وبؤس
 وفي هذا المقام بنيت دور المنى ، وثبتت بيدور الهنا ، وفطمت نفسى عن
 الطمع في الناس ، حتى طعمت لذة الياس ، ولم أقل :

ولا بد من شكوى إلى ذي حفيظة يواسيك أو يأسوك أو يتألم
ولكن قلت إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأقبلت على ربي وحده
بكلى وأخلصت له تفويضى وتوكلتى

وكاد سرورى لا يفي بندامتى على ماضى من عمرى المتقادم
ولما عز على حق الولد أيده الله لحسن أدبه في سؤاله، وأكيد محبته
وأهله لمحمد وآله، وطول غربته في طلب العلم بالجهد، ولطيف نظره في
مواضع النقد، قسرت طبعى على الجواب. وإن قل فيه الصواب. فإيكاد
المكره على الأمر يجود فيه ويحقق. ولا يعلو فيه ويحلق. ولكن الخيرة في
المكاره. ومن ثم جرت البركة فيما عملت وأنا كاره. وقدمت من صفة
حالى في مقام الدقائق ما لا يليق بخوافيه، إذ كل إناء يرشح بما فيه، ولن يخلو
ذلك من شبه إن عدمت المناسبة لأعدل بذلك سوءة الجدل وقساوته.
وغلظته وجفاوته، إذ كانت كراهة القسوة المحضة قد تمكنت من قلبى تأثما
وبغضة، وكى أعذر في التقصير. حين أمشى في هذا الميدان بالباع القصير.
قائل له أيده الله تعالى حين بان عن ملائمة حالى وبعد، زادك الله حرصا ولا تعد
كراهية منى المرا لا تبلى وتعرف ما عندى بومض حرابى
وملء جفون العين للحل مقنع كملء جفان أو كلء جوابى
وما يلام الا من ترك المقدور من الخير وان قل، وعاند الحق وان جل،
وأعوذ بالله من العناد، وأسأله السداد، ولا بد قبل الجواب،
وبعد خطبة الكتاب، من الايماء إلى أمر لا يخفى على ذوى الالباب..

زائد على ما في المبتدأ من التنبيهات . الذي كان يطرده الولد أيده الله فيه أصل البحث عن هذا السؤال . مثل التحذير من إفتاء الرد والقبول وترجيح العوائد على أدلة المعقول والمنقول وذلك أن الخلاف بين الخصمين إذا كان في الأمور الخفية، لم يحسن من واحد منهما أن يتهم الآخر بالعناد والعصبية ووجب اجتناب ما يدل على ذلك من التلون في العلل وإنكار المعلومات لأقامة العدل، فإن حصل الاتفاق مع لين الجانب وسهولة الاخلاق والاحتجاج إلى حاكم يقطع الشجار غير متهم بشيء من الجهل والهوى والاستكبار، والاغترار بالطبع المجبول على الاحتقار بمن جاء بما فيه أدنى استنكار . ألا ترى أن داود عليه السلام لما أخطأ في التأويل وكان هو الحاكم والمرجوع إليه في التزويل علم الرب اللطيف سبحانه وتعالى أنه قد تعذر على خصمه التوصل إلى عتابه، والتوصل إلى الانتصاب من عزيز جنابه، فأرسل الله تعالى ملائكته فتلطفوا حتى حكم بالظلم على من فعل مثل فعله وانطلق بالتصريح بذلك مسرعاً إليه بمحض عقله وعدله، ولو سئل عن ذنبه بالتصريح ولم يتوصل إليه بذلك التدريب والتلويع، عارضه بما علق بطباعه من تمهيد لهذره بالتأويل المرجح له ما كان من أمره فلم يؤمن أن يبطل بالاقرار ولا يبادر بالاعتراف حق البدار

وأصرح من ذلك وأولى بالاعتبار، ما قصه الله سبحانه علينا من استنكار كلمه لما فعله الخضر عليهما السلام بعد الاخبار والاعذار على أن الخبر له بتفضيل الخضر عليه السلام هو الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف في الاخبار ما ذلك إلا لقلبة الطبع البشري لما يطرأ عليه من المعارف المخالفة لحيلته البعيدة عن مآلفه وعاداته فكيف لا يتهم المصنف

نفسه ، ويوظف للاحتراز من هذا الطبع القوى حسه ، ولا يأنف ان طلبت منه البينة على أقواله والمحكمة إلى خير أجناسه وأمثاله *

ولما طلب الامام المهدي علي بن محمد للمناظرة والاختبار ، طلب البداية بنصب حاكم يقطع الشجار عند اختلاف الانظار ، وقد تنازع على عليه السلام وأخوه جعفر بن أبي طالب الطيار مع الملائكة الكرام وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما اعترف أحد منهم لخصمه بعد أن أدلى كل واحد منهم بحجته ، بل بقي كل على استرجاح حجته حتى حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكمه وأثنى على كل واحد منهم بفضله فقال لعلي عليه السلام (أنت مني وأنا منك) وقال لجعفر عليه السلام (أشبهت خلقى وخلقى) وقال لزيد رضى الله عنه (أنت أخونا ومولانا) وهذا مما اتفق على صحته من الاحاديث فلم يكن في بقاء كل على حجته بعد سماع حجة خصمه ما يدل على عناد ، ولا أطالوا الخوض في المراءى على جهة اللجاج ولا على جهة الاسترشاد * أما المراءى فانه لا خير فيه لانه اسم لما نظن أنه يفيد ، وأما الاسترشاد فانه عبارة عن طلب الرشاد ، وهو يحصل في الظنيات بأول اشارة تغنى فيه عن تطويل العبارة ، والمراد من كل واحد ما قوى في ظنه . ورجح في فهمه والتكير عليه بعد ابدائه لمستنده وابقائه عليه خروج عن منهاج السلف الصالح ومخالفة لاجماعهم العقلى في هذه المسالك ، وقد يقوم الود والعدل والتناصف والعقل إذا صفت مواردها عن أ كددار المعارضات . وأشرب الخصمان حب النظافة من ردائل القرائن المنفرات . مقام الحاكم العادل الجامع

م - ٥ ترجيح

الكامل فلا ينبغي حينئذ أن يكون أحدهما صاحب قطيعة ولا ريبة، فضلا عن أن يكون صاحب بغض وغيبة، ولا يكون أحدهما صديقا لعدو ولا عدوا لصديق ولا مجهول الخبرة محتاجا إلى تعديل وتوثيق، ولا منقطعا إلى خصوم صاحبه في ليله ونهاره ومحلّه وقراره وتدريبه في العلم وانظاره.

ثم لا يجوز أن يحكم وهو غضبان لأن الحكم في الأديان أكد من الحكم في الأموال والأبدان وقد علم جرح الثقات بالتهمة والإحسان هناك وإن خفيت في الدلالة عليها المدارك وعلى طالب العلم الصادق حين يخلو من الخصومة ويريد أن يحكم بين المتخاصمين كالناظر بالانصاف في مقالة أبي هاشم والامام يحيى وأبي الحسين وابن تيمية وأتباعهم من الطوائف في ألا يكون أن ينزل نفسه منزلة الحاكم بينهما بالعدل فلا يحكم لأبي هاشم حتى يطب مذهب الامام وأبي الحسين كطلبه (١) ويعمن النظر في مصنفات كتبه ويتعلم ذلك بالقراءة على أئمة مذهبه ويعتبر ذلك بحاله في مذهب أبي هاشم فإنه أول ما خلق كان خاليا من معرفة صحته واعتقاد قوته حتى قرأ في كتبه على رجاله، وقطع عمرا في تعرف قواعد أقواله، فصادف قلبا خاليا فتمكنا، فلا بد أن يكون في قلبه بطبع البشر ميل إليه، وتمويل عليه كما تقدمت الإشارة إليه في قصة الكليم مع الخضر عليهما السلام وقرينة هذا أنك ترى الطائفة العظيمة في الأزمان الطويلة على مذهب بعض المتكلمين في المشكلات الدقيقة والمعضلات العويصة لا يخالفه منهم

(١) أي لمذهب أبي هاشم يريد أنه لا يحكم بالترجيح بين الثلاثة إلا بعد اطلاعه وفهمه لمذاهبهم ضرورة أن الحكم على الشيء مطلقا فرع تصوره اهـ مصححه عيد الوصيف

ناظر مدقق، ولا يميل عنه في جميع خفيات مداركه محقق، مع مخالفة من هو أعلم منهم له وأخص منهم به كوالده الشيخ أبي علي فإنه كثير الخلاف لولده الشيخ أبي هاشم، ما ذاك إلا خروج شائبة التقليد من بينهما. ودخولها من غير شعور على من دونهما. ولذلك ترى أكابر العلماء الشيوخ يختلفون كثيراً. وألوف الألوف من الأتباع على منهاج رجل واحد لا يخالفونه يسيراً بل يجتمعون على لوم من خالفه . وذم من نازعه *

واعلم يا ولي أني كنت مثلك طالب علم صغير السن، كثير الجدل . قليل التجارب، وما كنت مثلي طالب سلامة كبير السن قليل الجدل طويل التجارب. وأعني بقولي طالب سلامة. أني غير ملتفت إلى غيرها من الفوائد على حد قول القائل «رضيت من الغنيمة بالأياب» ولذلك قيل «طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم» والمجرب لا يعدل بالسلامة ولا يرتاع من عدوان الظلامة والملامة،

ومن كملت فيه النهي لا يسره نعيم ولا يرتاع للحدثان فأنت في مناظرتك تطلب مني تجريب المجرب. ومالي داع بعد تقديم تجربتي إلى تجريب لولا محبة الاسعاف لك على سبيل التقرب إلى الله تعالى والتقريب. وربما انتفع غيري وغيرك بما دار بيني وبينك وقد أحسن من قال في طلب المآرب

* أرى غفلات العيش قبل التجارب *

وسوف إن طال بك الزمان، وجمعت بين البرهان والقرآن، والاختبات إلى الرحمن والزيادة في الإيمان، تذكر ما قلته لك من الفرق بين الحالين، والتمييز

بين المقامين ، وهذا مقام لادليل فيه الا التجربة المنزهة معارفها عن طرو
الشبه ، وهو مقام الرياضات والتجربيات ، وهي أحد أقسام العلوم الضروريات
والمدارك العقلية ، يختص بعضها عن اختصاص به من العقلاء كبعض المتواترات
والكلام في هذه الامور وإن طال ، فهو مناسب لمقتضى الحال ، فإنه أيده الله
طول وكثر في السؤال ، مع أنه من فرسان هذا المجال ، والعارفين بما يحل
به الاشكال ، وحيث عرفت أنه أراد بسؤاله (١) ما أراد من قال :
نحن أدري وقد سألتنا بنجد أقصير طريقنا أم طويل
وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل
﴿السؤال الاول عن مرادى بقولى﴾ *

أصول ديني كتاب الله لا العرض وليس لي في أصول بعده غرض
وقد طول أيده الله في التفاسيم وإيراد الأدلة على كل ما يمكن ذكره وكان
يكفيه في ذلك سؤال الاستفسار ، وهو أول ما يراد عند النظر ، وتطويله أيده
الله في ذلك مما أفاد فيه وأجاد ، ودل على ماله من الانتقاء والانتقاد ، لكنه
في غير محل النزاع ، وفيه تعريض بإنكار منكر لجميع تلك الأنواع ، كما ذكره
أهل علم المعاني في دلالة دخول المؤكدات في الاخبار ، على أن الخبر بذلك من
أهل الجحد والانكار

ومع تطويله أيده الله في السبر والتقسيم ، وتوكيد كائنه في ملاحظة كل
صحيح وسقيم ، فاني أعاتبه في ترك جليات المحامل الجميلة ، التي بها تنقطع
الخصومة بيننا في هذه المسئلة الجميلة مع انها أجلى من أن نخفي على من

(١) أي السؤال الاول عن المراد بقوله عليه السلام أصول ديني كتاب الله الخ .

عرف بعض ماعلمه الله سبحانه وسلك سبيله التي طلب فيها أن
يرضى الله تعالى *

وبيان ذلك أن الاشكال انما نشأ من اعتقاده أن اللام في العرض
لا تفيد شيئاً غير العموم ، من جميع فوائد المنطوق والمفهوم ، وهو أجل
من أن يجهل احتمال خلاف ذلك عند جميع أهل العلوم * فان للام أربعة معان
مشهورة عند أهل العربية والمعاني والبيان وأوضحها وأشهرها وأثبتها
وأكثرها (افادة العهد) الذي قصده في أبياني ، ودلت عليه القرائن من
كلامي وغير كلامي ، وقد تكون (للماهية) كقولنا الرجل خير من المرأة

وقد تكون (بمعنى النكرة) حيث يكون لمعهود في الذهن وليس بمعهود
في الخارج ولا هو للماهية كقول القائل أدخل السوق فانه لم يرد للماهية
لانها لا تدخل ؛ ولا أراد كل سوق ولا سوقاً معيناً فهو في معنى النكرة

وقد تكون (للعوم) على اختلاف كثير في ذلك وهو رابع معانيها
وأخفاها حيث اختلف فيه أهل العلم عامتهم وخاصتهم من جهتين
أما العامة فانهم اختلفوا هل للعموم صيغة تخصه أم لا ؟

وأما الخاصة فان المثبتين لصيغ العموم اختلفوا هل تفيده مع دخولها
على الجمع ذكر ذلك الجويني في كتابه البرهان ، وتقصى الخلاف في ذلك
السبكي في جمع الجوامع ولفظه : أوجز ماعلمت في هذا فلنكتف به

قال فيه : والجمع المرف باللام للعموم ما لم يتحقق عهد خلافاً لابي هاشم
مطلقاً ولا امام الحرمين اذا احتتم معهوداً . والفرد المحلى مثله ، خلافاً

للإمام مطلقاً ولإمام الحرمين إذا لم يكن واحده بالتاء اه ويعنى بالمحلى :
المحلى باللام أى المعروف به وبالإمام : الفخر الرازى

ولنجم الدين فى كلامه على مقدمة ابن الحاجب اضطراب فيما تفيد
اللام الجنسية وكلام مختلف ومناقشة لابن الحاجب ، وهذا أجل ما يحتمله
كلامى ، وهو المحمل الاول فان قلت هذا صحيح إلا أنها لم تدل عليه قرينة
فالجواب من وجوه : أحدها أن القرينة على ذلك ظاهرة من كلامى وكلام غيرى لأم
من كلام غيرى فان العرض الذى جرت عادة المتكلمين باختصاصه واختياره
للاستدلال هو العرض السكونى دون السمعى والذوقى واللونى *

والسكونى هو المنقسم إلى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والسكون المطلق ، وزاد أصحاب أبى الحسن فيه البعد والقرب ، فهذا الجنس
من الاعراض هو المذكور فى صدر كل كتاب من كتب الكلام حتى
فى المختصرات كالمسائل الثلاثين ، وحتى ذكره أيدى الله فى أسئلته هذه
المختصرة وخصه بالاحتجاج به دون غيره كما اختصه بذلك سائر المتكلمين
حتى ذكر ابن متويه فى المحيط سؤالاً فى ذلك ، فمن لفظه فيه . قوله
فهلا سلكتم فى ذلك غير الدلالة التى تذكرها مشايحكم من البناء على
الدعاوى الاربع ، وإذا أيتتم إلا أن تصدروا الكتب بذكرها فما فيها من
زيادة الفائدة على غيرها إلى آخر ما ذكره ، وإنما قصدت الاستشهاد بكلامه
على ما دعيت من أن دليل الاكوان هو المهود فى الاستدلال بالاعراض
على حدوث الحادثات ، وأما ما يدل على ذلك من كلامى فهو انى عطفت

الكلام على هذا البيت بالاستثالة القادحة في دليل الاكوان بخصوصه .
ولو أردت ابطال جميع الاعراض وهي عامة لم يكف بطلان بعض خاص
منها، ولا يخفى مثل ذلك على أحد، ويسمى هذا الجنس من الأعراض
بالاكوان لانه مأخوذ من كون الجسم في المكان *

﴿ المحمل الثاني ﴾ ان أكون ما أردت العهد بادخال اللام على اسم
الجنس فانه لا يتعين التعميم بذلك ولا يتبين لان شرط التعميم في ذلك عند من
ذهب اليه أن يكون في الاثبات دون النفي ، لان قولنا ماجاء الرجال
لا يفيد أنه ماجاء رجل واحد وإنما يفيد نفي المجيء عن جماعة الرجال
بخلاف قولنا جاء الرجال بالاثبات، وهذا واضح، وقد نص عليه البيضاوى
في كتابه المنهاج في أصول الفقه * وذكره أهل المعاني والبيان الا في
صورة واحدة وهي اذا تقدم لفظ كل مضافا الى مفرد مثل كل رجل لم
يقم، فانه يتوجه الى الافراد دون الشمول ، بخلاف ما لو قدم النفي فقلنا لم
يقم كل رجل فانه ينصرف الى الشمول ولا يدل على انتفاء المجيء عن
كل فرد، وقد اضطرب صاحب التلخيص في الفرق بينهما، وتوهم بعضهم ان العلة
مجرد تقديم المسند اليه وتأخير النفي وليس كذلك فانك لو قدمته وجعلته جمعا
لا نصرف الى الشمول لقلنا كل الرجال لم يقوموا، وإنما هو عرف لغوى
مقيد بقيدين أحدهما تقديم المسند اليه ، وثانيهما افراده مؤكدا بكل
وأحسن ماوجه به أنه حيثئذ نفى لفعل الكل أى لفعل كل واحد
وقولنا لم يقيم كل أحد نفى الكل عن الفعل . وهذا الثانى، هو الذى دل
عليه الباب لم يخرج منه الا تلك الصورة الواحدة وجميع الامثلة وان

كررت من هذه الصورة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم (كل ذلك لم يكن)
وقول أبي النجم

قد اصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

برفع كل ولو نصب انصرف الى الشمول كأنه يخص المبتدأ والخبر
وكذلك يجب افراد الخبر من قولنا كل رجل قائم ويمتنع قائمون
وهو يحتمل زيادة في النظر والله الفتاح ومنه :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ومنه ماجاء القوم كلهم ولم آخذ كل الدراهم وكل الدراهم لم آخذ ، النفي فيه
متوجه الى الشمول خاصة كما قاله عبد القاهر ، وقولنا ماجاء القوم كلهم ممانص
عليه عبد القاهر وهو نظير قولي لا العرض متى كان بمعنى الاعراض
كلها الا اني لم أوكده بكل ، وكل في هذا الموضع للتوكيد لا للتأسيس قطعاً
وفاقاً لانها متأخرة فلا يخل سقوطها بمعنى ما قبلها ولا بغيره بدخولها

قال صاحب التلخيص ويفيد (يعني نفي الشمول) ثبوت الفعل أو الوصف
لبعض أو تعلقه به ، وقد نقل الجويني في باب العموم من البرهان عن سيبويه
أنه يجوز ان يقول مارأيت رجلاً قائماً وإن مارأيت رجلاً ، وهذه الصورة التي
جوز سيبويه فيها ما جوز هي أصرح عموم النفي فكيف مانحن فيه

ويوضح ما ذكرت انك إذا قلت في النفي ماجاء رجل أفاد العموم
فاذا جعلت الرجال موضع رجل تغير المعنى فيتغير العموم وقد ذكره

مختار في المجتبى وقال هو مثل ما جاء عشرة رجال لا يفيد نفى مجيء التسعة
فما دونها وأجاب عن قوله تعالى (لا تدركه الابصار) بأن العموم مستفاد من
معنى المدح كقولنا فلان لا يفعل القبائح فانه يعلم من معنى المدح انه
لا يراد أن يفعل بعضها

﴿الحمل الثالث﴾ لو قدرنا انه لم ترد اللام الا للعموم وانه في كلامي
يفيد العموم بالاجماع فلا شك ان العموم يختص بالقرينة ولا سيما الجلية
المتصلة به، وفي كلامي قرينتان لذلك، احدهما ما قدمته من عطفي على
ذلك بالاحتجاج على بعض أنواع الاعراض، ولا سيما أن تلك الاعراض
التي ذكرتها هي المهودة المشهورة *

فالتخصيص بها كثير قريب حتى منعت الحنفية من ارادة
غير المهود كما هو مذكور في موضعه من كتب الاصول، وثانيتها
تقديمي الاحتجاج بكلام الله وهو من الاعراض فانه ظاهر
في ان قدحى في بعضها وإن أثبت بلفظ عام كما يعرف ذلك في قول من
قال: ربى الله لا إله إلا هو أو قال الله ربى لا الارباب، أو قال أهلى بنوهاشم
لا الناس وامثال ذلك فهاتان قرينتان قد حققنا هذه اللفظة الضعيفة
الدالة على العموم أولاً وآخراً كيف مع ما حفها من القرائن من بين يديها
ومن خلفها ومتصلاتها ومنفصلاتها

ولقد وجدت أيدك محملاً سائناً للإمام يحيى بن حمزة المؤيد بالله في قوله ان

اجماع المتأخرين لا يوضح مع أنه قال لا يصح قطعاً بالضرورة على جهة التحقيق هذه ألفاظه عليه السلام في كتابه الميعار، فأمكنك تأويل القطع والضرورة والتحقيق بالتجاوز بها عن الاستبعاد الذي ليس بحجة عند أحد من المحصلين كما سيأتي، وما أمكنك أن تصرف كلامي عن جهة العموم والشمول والاستغراق المحقق بوجه من وجوه الاشتراك الذي في اللام ولا وجه من وجوه المجاز الذي يدخل العموم المجمع عليه وأنا أحوج إلى الحمل على السلامة من الامام عليه السلام وإن كان أحق به مني، وذلك لنقصاني وإكماله وكون الكل حاملًا له على السلامة مسالمًا له منصبه من كمال مناصب العلم والامامة، وقليل من يحملني على السلامة فحملي على ذلك كالصدقة على الفقير البائس، بل قد رأيت المسئلة لا تزال دائرة بين علماء الاسلام لانكارها فيها ولا متعرضًا لأفرادها بالبحث والتأليف حتى اذهب اليها ولحظتها احداق النظر وتواترت فيها التأليف بالانكار ما ذلك الا لما وعد به الصادق الامين صلى الله عليه وآله وسلم من عود الدين قريبًا كما بدأ، وحسبي الله وكفى لا اشرك به أحدا.

﴿ المحمل الرابع ﴾ لو قدرنا النزاع في جميع ما تقدم مادل كلامي على نفى ذوات الاعراض على جهة النصوصية وإن في كلامي ما يستلزم التوقف في ماهية بعضها، وإنما منصوب عبارتي هذه في هذا البيت ان الاعراض ليست أصول ديني، ويجوز فيما ليس أصلًا لديني أن يكون ثابتًا في نفسه لكنني مع ثبوته لم أبين نظري عليه لاستغنائي عنه بما هو أجلى منه وأولى كما أشرت اليه في آياتي حيث قلت :

وما لهم عن دليل المعجزات أما

في طلعة الشمس عن نور السهي عوض

فجعلت دليل المعجزات أقرب وأقوى وأجلى، وأقطع للحجاج وأولى
بما أعتد لها إن شاء الله تعالى عند القصد إلى افحام الخصوم وقطع اللجاج وكذلك
الاستدلال بما في هذا العالم من عجائب المصنوعات، وغرائب المخلوقات
وما في جميعها من الأحكام والاتقان المعلوم بالفطر حاجته إلى صانع أحكمه
وعليم قدره وهذان الطريقان صحيحان؛ أما الاستدلال بالمعجز فلا أعلم
فيه خلافاً، وأما الاستدلال بالأجسام من جهة الأحكام فكذلك لا أعلم وجها
للخلاف فيه، إلا أن في عبارة ابن متويه اشعاراً بخلاف أبي هاشم وحده
في ذلك وما هو عندي بصحيح عنه إن شاء الله تعالى كما دل عليه ابن متويه
في أوائل المحيط وذلك يأتي قريباً إن شاء الله تعالى *

وهذان الأمران هما مرادى بقولي *أصول ديني كتاب الله لا العرض*
أعني الاستدلال على أصول ديني بأعجاز القرآن وأحكام خلق المخلوقات
لجلالتهما لا العرض الكوني لاستغنائي عنه مع كثرة الشبه فيه كما نص
عليه ابن متويه في أوائل المحيط، وقد قال الإمام يحيى بن حمزة من أئمة
العترة وكثير منهم عليهم السلام، والشيخ أبو الحسين وكثير من أئمة
الكلام، والشيخ ابن تيمية وكثير من أصحابه من جميع طوائف الإسلام
بأن الأكوان غير ذوات حقيقة، قال الشيخ العلامة مختار بن محمود المعتزلي
في كتابه المجتبى في خاتمة أبواب العدل أن ذلك مذهب أكثر شيوخ المعتزلة

من البصرية والبغدادية، وانهم يقولون بانتفاء الاكوان، ولم يحك القول بثبوتها إلا عن أبي هاشم وأصحابه، وذكر أن لهم في ذلك خطا كبيرا ومغالطات وترددات لاتندفع الا بتحقيق ما ذكره، ثم ذكر الادلة في ابطال قولهم وطول وجود، فمن أحب الانصاف حقق أدلة الجميع. وكان أبو هاشم رحمه الله يقول: إن الاكوان ثابتة بالضرورة ثم رجع عن ذلك، وكان والده أبو علي يقول: انها محسوسة بالعين وبغيرها من الحواس ذكر ذلك عنهما ابن متويه في المحيط. وهذا غاية الاضطراب في دليل الاكوان وإذا حملا على السلامة والجلالة مع هذا الاضطراب العظيم فيما هو عند أحدهما من المحسوسات المشاهدات وفيما قطع أحدهما على أنه كان مخطئا قطعاً في دعوى أنه من الضرورات وأن والده مصر على الخطأ المقطوع به في أنه من المحسوسات الجليات، فحملي ان شاء الله على السلامة يسر من ذلك وأسهل على من سلك هذه المسالك *

وكيف يستنكر الشك مني فيما اضطرب فيه الشيخان هذا الاضطراب حتى تردد أبو هاشم فما كان قاطعاً أنه من الضروريات واعترف آخراً أنه كان أخطأ خطأ قاطعاً في قوله إنه من الجليات وحتى استمر على التنازع فيما هو عند أكثرهما من المشاهدات مع خلاف عيون النظائر لهما فيما اتفقا عليه، وأعجب من هذا وأغرب حصر السائل أيده الله جميع طرق معرفة الرب الجليل المسمى بالحق المبين، في هذا الامر المشكل عند من يصححه من الاقلين، الباطل عند من ينكره من الاكثرين والمحققين

وإذا جاز الخطأ على أبي علي فيما يقطع فيه أنه من المشاهدات وعلى أبي هاشم فيما كان يقطع على أنه من الضروريات فالخطأ عليهما في الاستدلاليات الخفيات أقرب، وحصر الطرق إلى الله تعالى في هذا الأمر الخفي أغرب وأعجب، وليس القصد بهذا خفض رفيع منزلتهما ولا القدح في عظيم علمهما، وإنما القصد أمران: أحدهما تهوين أمر المخالفة في هذه الدقائق على السائل، وأن المخالف فيها جدير أن يسلك به مسالك من تقدمه من المختلفين في هذه المسائل في تطلب وجوه المحامل، وأن لا يخص بذلك الاوائل، وثانيهما أن لا يرجح على جميع من خالفهما من الأئمة وعلماء الأمة، ولا يفتى بكثرة مقلديهما في هذه البلاد، ممن ادعى أنه لا يقلد في الاعتقاد، وهو لهما واحد أو لمن لا يساوى آثارهما أتبع من الظل، وأطوع من النعل، بل كيف لنا أن لا نعارض بهما رحمهما الله الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام والبراهين العظام، وما أشد كراهتهما لذلك، وللسالكين هذه المسالك، فلو اقتدى بهما مقلدوهما ما قلدوهما ولو لم يقلدوهمالاختلفوا كما اختلفوا، وتحيروا وترددوا كما تحيروا وترددوا، على ما جرت به العوائد في أحوال الخائضين في هذه الدقائق والله أعلم

﴿ فصل وفي كلام السائل أيده الله ﴾ تنبيه لي على أن اعتمد على النظر فيما نبه عليه القرآن من الأدلة الجسمية لا يصح إلا مع اثبات العرض الكوني بخصوصه وقد كبر على أن يكون مثله من طلب العلم المنقطعين إليه مع فرط ذكائه وشدة رغبته وطول غربته بظن مثل هذا الظن، خصوصاً من المدققين المحققين في هذا الفن؛ ولقد خشيت أن يكون هذا الذي ذكره أيده الله قد شاع في أهل العصر فأحببت أن أذكر من نصوص مشايخ المعتزلة وأئمة الاسلام وأدلتهم ما يعلم به بطلان ذلك

وأورد بعض ألفاظهم وأنسبها إلى مواضعها المعروفة ليعلم باختباري بالبحث عنها صدق كلامي . فاني الآن مختصم ولا يصح أن أحكم لنفسي ولا أزيها بل أحيل النظر في الرواية الى مواضع النقل ، وفي الدلالة إلى محض العقل ، وجزى الله السائل عن المسلمين خيرا لقد نبه على أمر ما حسبت أن أحدا يشك فيه ، والله يأجرني على بياني له ان شاء الله تعالى ، وبيان ذلك يظهر في مقامين :

﴿المقام الاول﴾ في بيان الحجة على الله تعالى من غير طريق الاكوان ومن قال بذلك قال الشيخ المحقق أبو محمد الحسن بن أحمد بن متويه في باب اثبات المحدثات الدالة على الله في كتابه المحيط مالفظة : والمعتبر فيما نجعله دليلا على الله تعالى هو ماله صفة مخصوصة (الى قوله) في بيان ذلك إنه ما يتعذر على القادرين بقدره ، فكما اتصف بهذه الصفة : فهو دليل على الله سبحانه وتعالى . فاذا أردت كشف هذه الجملة قلت : إن الذي يدل عليه إنما هي أفعال الحوادث ، وكلها لا تخرج عن أن تكون جوهرًا أو عرضًا ، فما كان من باب الجوهر فهو دليل على الله تعالى لا محالة ، لتعذره على القادرين بقدره وما كان من باب الاعراض فانه ينقسم ، إلى قوله بعد أن ذكر ثلاثة أسئلة وجوابها : فالذي ذكره أبو هاشم في الجامع الصغير وغيره أن لا طريق يستدل به على حدوث الجسم إلا بالبناء على الاصول الاربعة ، وذكر أن باقي العرض لا يمكن به الاستدلال على حدوث الجسم ، قال ابن متويه : ولكن الذي عليه شيوخنا وأشار اليه في الكتاب أن الاستدلال بغيره صحيح ، وهو أن في القول بعدم الجسم إثباتا له فيما لم يزل على صفة واجبة

من هذه الصفات من نحو كونه في جهة مخصوصة، إذ لا يجوز أن يقال: إنه فيما لم يزل يحصل في جهة، وقد كان يجوز أن يكون في أخرى بدلا منها، لأن قدمه يوجب أن يكون في جهة معينة لا يصح انتقاله عنها، وقد عرفنا أن من حكم تميزه صحة تنقله في الجهات، وإنما يجب كونه في جهة ما لا بعينها فلا يصح إذاً أن تكون قديما ويجب أن تكون هذه الصفة متجددة له، وهذا يوجب تجدد الوجود له أيضاً، يبين هذا أن كونه كائناً إذا كان متجدداً، وتميزه لا يظهر إلا بذلك وجب تجدد التحيز له، ووجوده لا ينفك عن تميزه، فيجب تجدد وجوده أيضاً، فهذه طريقة يمكن سلوكها اه كلام ابن متويه بحروفه، وفيه ما ترى من نسبة أبي هاشم في هذا إلى الشذوذ، وهذا كلام أحرص أصحابه على نصرته، وهذا شذوذه بالنظر إلى أهل مذهبه المشغولين بأقواله وكتبه فكيف شذوذه بالنظر إلى سائر أهل الكلام، بل بالنظر إلى السلف الكرام وسائر علماء الاسلام، وقد اختار ابن أبي الحديد في شرح أول خطبة في نهج البلاغة الاستدلال على حدوث الاجسام بتركيبها لاستلزامه أنها ممكنة غير واجبة وان واجب الوجود غير ممكن، والاستدلال على حدوث الاعراض بافتقارها إلى الاجسام، وواجب الوجود غير مفتقر، وذكّر غير هذا من الأدلة دون دليل الاكوان، فلم يذكره ولم يعرض به ولم يلتفت إليه، وهو علامة المعتزلة وخاتمة محققهم ومن المعظمين لأبي هاشم، ثم ننتقل من أخص خواصه من الجبائية والبهاشمية إلى سائر شيوخ الاعتزال مثل أبي الحسين وأصحابه، وقد ذكرنا في حصر الأدلة على

الله على جهة الاجمال أنها ستة أجناس كل جنس يشتمل من الأنواع على ما لا حصر له ولا حد، ولا حساب له ولا عد، وهذه الستة الأجناس (الاول) إمكان الذوات (الثاني) حدوث الذوات (الثالث) مجموعهما (الرابع) إمكان الصفات (الخامس) حدوث الصفات (السادس) مجموعهما، فمن ذكر هذه الأقسام وأجاد الكلام في كل واحد منها الشيخ العلامة الزاهد المحقق مختار بن محمود في كتابه المجتبى (قلت) وقد ذكر العلماء تقسيم بعض هذه الأجناس على جهة الاجمال أيضاً لكنه أبسط قليلاً من هذا ذكرته لتنبيه الناظر على عظيم ملك مالكمها ولطيف حكمة خالقها وعظيم إحكام صانعها، وأخصر ما قيل في ذلك أن نقول: الممكن إما أن يكون متحيزاً، أو صفة للمتحيز، أو لا متحيزاً ولا صفة للمتحيز، هذه ثلاثة أقسام:

(الاول) المتحيز وهو إما أن يكون قابلاً للقسمتين (الثاني) الجوهر الفرد عند من يقول به (والاول) الجسم عند من لا يشترط تركيبه من ثمانية جواهر، والمشترون لذلك هم المعتزلة أو جمهورهم، وذكر مختار أنه بحث لغوى وهو: إما أن يكون من الأجسام العلوية وهي الافلاك والكواكب والعرش والكرسى واللوح والقلم وسدرة المنتهى والجنان وإما أن يكون من الأجسام السفلية، وهي إما بسيطة وإما مركبة، فالبسيطة العناصر الاربعة: الارض والماء والنار والهواء، وقد قيل إنها كلها كرية ولم يصح هذا في السمع ولا طريق له سواء، وأما المركبة فهي المعادن ثم النبات ثم الحيوان على كثرة أقسامها (والثاني) وهو الذى يكون صفة

للمتحيّز هو الأعراض وقد ذكرنا منها ما يقارب أربعين جنساً، والثالث وهو الذي ليس بمتحيّز ولا صفة لمتحيّز هو الأرواح عند بعض أهل الكلام، وإرادة الباري سبحانه وتعالى عند البهاشمة من المعتزلة* ومن أهل العقولات من يدخل في الأرواح الأجسام اللطيفة يقسمها إلى سفلية وعلوية، والسفلية إما خيرة وهم صالحوا الجن وإما شريرة خبيثة وهم مردة الجن والشياطين، وإما علوية وهم الملائكة عليهم السلام، وقد دخلت جهنم ودركتها في عنصر النار نعوذ بالله منها كما دخلت البحار وعجائبها والأمطار وسحابها في الماء، قالوا فهذه إشارة جليلة إلى تقسيم موجودات العالم، ولو أن الإنسان يكتب ألف ألف مجلد في شرحها لما وصل إلى مرتبة من مراتبها* وهذا العالم كله جواهره وأعراضه وعلويه وسفليه مشتمل على الحكمة والاحكام والتدبير والاتقان، محدث بمادته وصورته يدل كل شيء منه على انفراده على خالقه سبحانه كما قال القائل :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وعلى ذلك دلت العقول والآيات، أما الآيات فقد ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف أن في القرآن قدر خمسمائة آية في كتاب الله تعالى، ولندكر شيئاً يسيراً من الآيات المنبهة على الأدلة على الله تعالى مما نطق به القرآن، وعضده البرهان ليظهر للأسائل أيده الله أنه يوجد طريق غير طريق الأكوان ﴿الآية الأولى﴾ (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

﴿الآية الثانية﴾ « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (الثالثة) وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون ﴿الرابعة﴾ « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » ﴿الخامسة﴾ « أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » ﴿السادسة﴾ « أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون » ﴿السابعة﴾ « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون » ﴿الثامنة﴾ « أم يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرأ بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون » ﴿التاسعة﴾ « أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ﴿العاشرة﴾ « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » ﴿الحادية عشرة﴾ « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ﴿الثانية عشرة﴾ « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » (الثالثة عشرة) « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون » (الرابعة عشرة) « ومن آياته يريم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن

في ذلك لا آيات لقوم يعقلون. (الخامسة عشرة) « ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون. (السادسة عشرة) « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (السابعة عشرة) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (الثامنة عشرة) « والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (التاسعة عشرة) « وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتناه جنات وحب الخصيد » (العشرون) « والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » (الحادية والعشرون) « قتل الانسان ما كفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره » (الثانية والعشرون) « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحناثًا غلبًا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم » (الثالثة والعشرون) « قول نوح لقومه « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا . ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » الآيات (الرابعة والعشرون) « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل ويؤمئذ لكاذبين »

ومما هو أوضح في هذا قوله تعالى في هذه السورة « ويل يومئذ للمكذبين . فبأى حديث بعده يؤمنون » (الحجة الخامسة والعشرون) ما ذكره الله

تعالى في أول سورة النبأ . وما أعظم الحجة بقوله سبحانه فيها «وبنينا فوقكم سبعا شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً» لأنها مشاهدة كجانبه عليه في قوله تعالى «الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» ولا شك أنها وسائر العالم العلوى والسفلى (١) في الهواء باجماع العقلاء وإقرار الجاحدين . وفيه غاية الثقل . وطبع الثقل الهوى إلى الأسفل لولا أمسكه الله عز وجل إلى أمثال ذلك مما يطول ذكره . والقصد التبرك والتشفي بذكر الله تعالى وذكر آياته ، وإيس من الواجب أن لا تخاطب به إلا من هو أهله . فان الخطيب يوم الجمعة المشروعة باجماع المسلمين يخاطب كبراء المسلمين بذلك على جهة التذكير . وكم من مذكر لا ذكر منه ، وحامل فقه إلى أفقه منه . والاعمال بالنيات * وليس في شيء من هذه الآيات وأمثالها ما تنبئ صحة الدلالة فيه على ثبوت العرض الكونى . والذى يدل على ذلك وجوه (أحدها) خلو تناسير القرآن من التنبيه على ذلك في تفسير هذه الآيات وأمثالها بخصوصها من لدن الصحابة إلى يوم الناس (٢) هذا (ثانيها) أنه لا خلاف بين المسلمين والكافرين في كمال عقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكمال فهمه أما المسلمون فظاهر ، وأما الكافرون فعندهم أنه بكمال عقله وحلمه استمال لخلائق . واستعمل بهذه المربية الكبرى ، فكيف يشتمل الكتاب الذى جاء به على أدلة قاصرة ما فيها دليل واحد يشفي ولا يكفي ١١ وكيف لم يقدح بذلك أحد من أهل عصره لا من أعدائه ولا من أصدقائه مع ما في الفريقين من الأذكاء

(١) كلمة السفلى ثابتة في ثلاث نسخ خطية ولعلها زائدة أو العالم السفلى وهو الأرض وما عليها في الهواء كالعلوى ولولا أمسك الله لها هوت اه مصححه عيد

(٢) يريد يوم القيامة أى ويستتم ذلك إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين اه مصححه

النبلاء حتى يأتى بعض الشيوخ المتأخرين بعد ثلثمائة سنة من الهجرة فيستدرل على الله ورسله صلوات الله عليهم أجمعين * وجميع العقلاء ما كانوا عنه غافلين . (وثالثها) ما يأتى من تحرير الدليل العقلى فى كلام السيد المؤيد بالله عليه السلام * ثم انا نظرنا الى هذه الطريقة المسماة بطريقة الاحوال فوجدنا الاحتجاج بها هو سنة الانبياء والاولياء والاسلاف الصالحين . وكم احتج الله به على عباد الاصنام من الاجسام ، وكم احتجت عليهم الرسل الكرام صلوات الله عليهم فاذكروا فى شىء من ذلك دليل الاكوان . إما خلفائه أو لبطلانه ، ألا ترى أن الله تعالى احتج على بطلان ربوبية العجل بأنه لا يرجع اليهم قولاً ، وإبراهيم احتج على قومه بقوله أتعبدون ما تعبدون والله خلقكم وما تعملون . وبقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . وقال تعالى فى الاحتجاج على ذلك «والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون» وكذلك احتج موسى صلوات الله عليه على فرعون وهو مدع للربوبية بالآيات دون الاكوان فقال تعالى «ولقد آتينا موسى آيات بينات فاسأل نبي اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مشهوراً» وكذلك الأئمة عليهم السلام أما على عليه السلام فكلامه فى النهج معروف وله فى ذلك خطبة الاشباح التى لم يعلم لاحد ما يقاربها فكيف ما يماثلها ، ومن كلامه عليه السلام فى أول خطبة من النهج : فبعث فيهم رسلاً ليستادوهم ميثاق فطرته الى قوله ويروهم آيات القدرة من سقف

فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع . ومعايش تحييمهم . وآجال تفنيهم .
وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولما كان كلامه عليه السلام معروف
الموضع في النهج لم أستكثر منه خوفا من الاملال، والارشاد الى
موضعه كاف لاسيما مع مطالعة شروحه كشرح الامام يحيى عليه السلام وشرح
ابن أبي الحديد رحمه الله وجزاه عن آل على خيرا، فلقد أفادوا جادوينبغي
أن ينظر في كلامه في هاتين الخطبتين خصوصا وقد احتج ابن أبي الحديد في
شرح الخطبة الاولى بدلالة التركيب . كما احتج بها على عليه السلام ولم
يتعرض للاكوان بتصريح ولا تلويح ولكل من الأئمة عليهم السلام في
هذا المعنى كلام تركت سياقه كذلك خوف الاملال . ولكني أذكر
اليسير من كلام عيونهم* قال القاسم بن ابراهيم عليه السلام ما رأيت كلاميا
قط له خشوع الجمل الجمل رواه عنه محمد بن منصور، قال الهادي عليه السلام في
كتابه المسمى بكتاب البالغ المدرك بحج على البالغ المدرك : ان تنظر الى هذه
الاعاجيب المختلفات المدركات بالحواس من السماء والارض وما بث فيها من
الحيوانات تعلم انها محدثة لظهور الاحداث فيها معترفة بالعجز على انفسها انها
لم تصنع شيئا ولم تشاهد صنعتها وتعجز أن تصنع مثلها . وتعجز أن تصنع ضدها
فلما شهدت العقول أن هذا هكذا ثبت أن لها مدبرا حكيما . ومعتمدا
اعتمدها وقاصدا قصدها ليس له شبيه ولا مثيل اذا مثل جائز عليه ما يجوز
على مثله من الانتقال والزوال والعجز والزيادة والنقصان الى قوله عليه السلام
واجب على كل عاقل ان ينظر في نجاحه ولن ينتفع ناظر بنظره الا بسلامة قلبه من
الزيف وطهارته من الهوى وبراءته من إلف العادة التي عليها جرى، والقصد
بإرادته ونيته الى العدل والنصفة وإصابة الصواب وترك التقليد ويكون

طالباً لقيام الحجة لازماً لمنازل القرآن متمسكاً به مؤثراً له على ما سواه ملتصقاً للهدى فيه فلن يعدم الهدى من قصده لأن الله جل جلاله ضمن لمن اتبع هداه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة فبمثل هذه الشروط يستبان البرهان ويستشف الغامض من الصواب وتستبان دقائق العلوم وتهجم به على مباشرة اليقين بربه فتهتك الشكوك عن قلبه * وقد شرحه السيد الامام أبو طالب عليه السلام فجود شرحه وقال عليه السلام : وتبرأ الهادي عليه السلام في خطبة كتاب الاحكام من كل معتزلي غال وفي كتاب الجامع الكافي من هذا ما ليس في غيره فليطالع فيه أوفى الكراريس التي نقلتها منه وأشهدت على ذلك خوفاً من تهمة المتعصيين * وقال الامام الناصر للحق الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر الاشرف بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كتاب البساط : وشهادة كل مصنوع بأن له صانعاً مؤلفاً، وشهادة كل مؤلف بأن مؤلفه لا يشبهه، وشهادة كل مؤلف بالاقتران والحدوث، وشهادة الحادث بالامتناع من الازل فلم يعرف الله تعالى من وصف ذاته بغير ما وصف به نفسه، وحكى عنه مصنف المسفر أنه قال : المفروض معرفة الاسم والمسمى وأن الاسم غير المسمى لأن المسمى يعرف بالصنع والدليل، والاسم يعرف من طريق السمع، وقال في كتاب الكنز والايمان : ثم انصدعت من هذه الامة طائفة تحلت باسم الاعتزال الى قوله بعد ذكره لكثير من تعمقهم حتى خاضوا في صفات ذاته وضربوا له الامثال وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى «فلا تضربوا لله الامثال» وقوله «إنما حرم ربى الفواحش» الآية إلى قوله «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» وبالغوا في خلاف ذلك ولم يرضوا حتى تعدوا إلى الكلام

في كل ما لا يعلمون ولا يدركون رمياً بعقولهم وحواسهم من وراء
غاياتها إلى قوله وتكلموا من دقائق الكلام بما لم يكلفوا وبما
لعل حواسهم خلقت مقصرة عن درك حقيقتها وعاجزة عن قصد
السبيل بها ومن شعره عليه السلام في هذا المعنى قوله فيها :

قد اعتدى الناس حتى أحدثوا بدعاً

في الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بحق الله أكثرهم وفي الذي حملوا من حقه سعل

وقوله :

بجاهد وقلد كتاب الآله لثلقى الآله اذا مت به

فقد قلد الناس رهبانهم وكل يجادل عن راهبه

ولحق مستنبط واحد وكل يرى الحق في مذهبه

وللقاسم بن علي عليه السلام كتاب الأدلة من القرآن على توحيد الله وصفته
قال فيه ولا بد من معارض لنا في علم القرآن ممن اكتفى بأفانين الكلام
إلى ما ذكره من كون القرآن معجزة وصنعا لله تعالى يدل عليه كسائر
مصنوعاته ، ذكر هذه الاشياء وأضعافها السيد العلامة الامام المقتصد
والعالم المجتهد ، نور الدين أبو عبد الله حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم
ابن الحسن بن ابراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي بن محمد بن القاسم
بن ابراهيم من مجموع المعروف من المنتزع الثاني في ذكر
بعض ما اختلف فيه أهل علم الكلام من الاقوال في الذوات والصفات
والأحكام وهو المجموع الذي كتب عليه جماعة من أئمة العترة عليهم السلام انه
مقدمتهم منهم الامام أحمد بن الحسين والمنصور بالله الحسن بن محمد أخو الأمير

الحسين مصنف شفاء الأوام والامام المطهر بن يحيى والامام محمد بن المطهر
إلا أن الامام محمد بن المطهر استثنى الجوهر قال فان لى فيه نظراً ، والحسن
ابن محمد استثنى الارادة فانه كان يتوقف فى كيفيتها والمراد ان هؤلاء كلهم
سلكوا طريق الاستدلال بالاجسام المحكمة المبر عنها بالصنع وحكموا بما
تحكم به العقول من دلالة المصنوع المحكم على صانعه الحكيم وأن هذه الطريقة
هى التى كان عليها الصدر الاول الذين شهد لهم الرسول الصادق الاين بانهم
خير القرون بل شهد لهم بذلك كتاب الله تعالى حيث يقول « كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقد اجتمع المختلفون
على انهم كانوا على الصواب ، ولكن ادعى التعمقون من أهل كل بدعة
انهم كانوا لهم سلفا وأبى الله الا أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق وعندى أن البدع كلها معلوم ابتداءها بالضرورة التى لا يستطيع
أحد النزاع فيها ولكن كل مبتدع يعتذر لبدعته فنترك الاعذار سلك
الجادة الا ترى أن الصوفية لا يستطيعون يدعون أن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ولا أصحابه ولا التابعين كانوا يصنعون صنعم فى السماع لكنهم
يعتذرون بانه يصلح قلوبهم ويقويها ولا يقوم غيره مقامه مع وجود
الاختلاف فى جوازه بين أهل العلم وتعارض الاخبار فيه ونحو ذلك
والملوك لا يقدر على دعوى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء
بعده كانوا على مثل أحوالهم فى الرسوم الملكية والامور المصاحبة لكنهم
يعتذرون بفساد أهل الزمان وقصد التهيب والتوصل إلى المصالح على

حسب الرأي تارة وعلى حسب الضرورة أخرى، وكذلك أهل الوسوسة في الوضوء من المتعبدین والعارفين وأهل التدقيق فيما لا يقع غالباً بين الفرضيين والمتفقهين* وكذلك علماء الكلام والجدليون والمنطقيون لا يستطيعون أن يدعوا على السلف انهم خاضوا في علمهم ولا مهدوا القاعدة ولو كان شئ من ذلك لنقلوا انصوصهم في ذلك ولو وافق الجبائين الصحابة والتابعون في إثبات الاكوان ومن قال بقول الامام يحيى وأبي الحسين لنقلت أقوالهم في ذلك كما نقلت في الفقه والتفسير ولما أطبقوا على تغليق هذه الابواب كما أطبق الرسل صلوات الله عليهم وخلت عنه كتب الله المنزلة أولها وآخرها ولم يحسن من المسلم المظم لكتب الله ورسله صلوات الله عليهم والسلف الصالح أن يقطع على قبح حال من تشبه بهم في هذه الخصلة وإن كان مقصراً في غيرها فالسيئة لا تقبح الحسنة لصدورها عن فاعل واحد، والعاقل يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال* وإنما ذكرت الحجة بالكتب والرسل والسلف لأن المخاطب بحمد الله يعرف أنهم على الحق وأنا كذلك وليس يحسن منا أن نفرض أنفسنا من جملة أهل الجاهلية بعد أن من الله علينا بالاسلام ولو فرض ذلك جاهل لدلته البراهين الصحيحة على ملازمة من ذكرته للحق، وعلى كل حال فالقصد أن يلحقني السائل أيده الله وغيره بحكم من قلت بقوله فيما يستحقه: من قال بذلك القول فالنظر إلى ذلك القول

خصوصاً والذي اخترته من هذه الطريقة هو بعينه الذي اختاره المؤيد بالله في كتاب الزيادات في فصل عقده عليه السلام في سكون النفس ومعرفة الله واختار فيه الاحتجاج بما في العالم من الأحكام فإن معرفة احتياج الأحكام إلى محكم من العلوم الضرورية الأولية قال لأنه يجوز من طريق الاتفاق أن يسقط كوز من علو فينكسر ولا يصح من طريق الاتفاق أن يصير الخشب دواة * والفرق بينهما أن في الدواة آثار الحكمة ولا يوجد ذلك في انكسار الكوز ، فإذا ثبت ذلك فآثار الحكمة في خلق بني آدم وغيرهم من الأشياء أكثر . واحوج الأشياء إليه الهواء ، لأنه لو انقطع مات الإنسان سريعاً فجعله الله مباحاً واسعاً ، وبعد ذلك الماء فالحاجة إليه وإن اشتدت فهو دون الهواء . وكذلك الطعام بعدهما فإن الرجل لا يموت بانقطاعه يوماً ويومين فلم يوسع الله سعة الماء الهواء ، وكأمنه خرين والقم فإن فيهما مجرى الانفاس ولو أصاب بعضهما شيء تنفس بالآخر ولو علا حتى جنى عليه الربو تنفس بهما * والفروخ لما لم يجعل الله للدجاجة الشفقة المفرطة عليها جعلها قوية ناهضة بأمرها تلتقط الحب حين مفارقتها للبيضة ، وعكس ذلك بنوا آدم جعل للوالدين من الشفقة والعطف عليهم مآثر لا ينهمجون بأمورهم . ولو قال قائل إن هذه التراكيب حادثة فمن أين أن تلك الأجزاء المركبة حادثة مثلاً ؟ قلنا إذا علمنا أن للعالم صانعاً يصنعه على هذه الأحوال صح أن نقول بعد ذلك أن محدث هذه الأشياء المدبر لها والمركب

لهما على هذه الاحوال يعرف بطريقة السمع اه كلامه وقد صنف الجاحظ في هذا كتاب المبر والاعتبار وأجاد وأبدع رحمه الله تعالى * وقال المؤيد بالله فان قيل من أين أنها من صنع القادر المختار وما أنكرت أنها من طبع (١) قلنا لان الطبع ان سلمنا وجوده فانه لا يحصل به الشئ على قدر الحاجة وانما يكون بمقدار قوته وضعفه * الا ترى أن النار تحرق لاعلى قدره الحاجة بل على قدر قوتها وتقتصر عن الحاجة ان ضعفت وكذلك الماء الجارى ، والحكيم يجره ويقطعه على قدر الحاجة ، وكذلك البناء وغيره يعلم ضرورة وجوده بمقتضى وحصوله به انتهى كلامه * ومن جوز في بدیع خلق الانسان أنه من طبع كمن جوز في كتابة المصحف المحكم أنه بمنزلة جمود المداد في الاستناد الى الطبع فهو معاند موسوس لا يداوى بالنظر * وكما قدرنا موسوسين في الوضوء ينكرون الضرورة ولا ينفعهم علم العلماء وقد قال تعالى «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» (فقف على كلام المؤيد بالله) في كتاب الزيادات موقفا وانظر كيف عدل عن الاستدلال بطريقة الاكوان الى طريقة الاحكام الذى فى العالم ، ثم استدل بالسمع على حدوث كل شئ ووجد سبيلا الى الله تعالى غير الاكوان ، وكذلك فعلت حين استدلت بالاحكام الذى فى القرآن واخترته لانه معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والاعجاز صفة لا عرض * ومعرفة حاصلة بمعرفة المعجز عنه لا بمعرفة حقيقة ذات الكلام لأننا لو عرفنا ذات الكلام ولم نعجز عن مثل القرآن لم يكن معجزا ، ولو عجزنا ولم نعرفها كان معجزا فدار الكلام على المعجز لاعلى (١) ما: اسم موصول والمعنى من أين أنها يصنع المختار والذي تنكر أنها بالطبع اه مصححه

معرفة ماهية المعجوز عنه ونحن نعلم بالضرورة عجزنا عن بعض صفات الاصوات
وأحوالها فنعلم عجزنا عن مثل صوت الرعد القاصف ونعلم أن علمنا بمعجزنا عن ذلك
لا يتوقف على معرفة ماهية الصوت وحده الاصطلاحى بعدم معرفة الصوت
على سبيل الجملة كما مكنتنا معرفة صفات الله تعالى بعدم معرفة ذاته على سبيل الجملة
فإن أهل عصر النبوة عرفوا الاعجاز وما خاضوا في ذلك وهو أمر
لا يدرك بالفطرة ولا أئين من أمر يعلمه الخصمان جميعاً ، وأنت أيدك
الله تعلم وأنا أعلم أنا كنا قبل أن نتلقى كلام المتكلمين في الكلام والا كوان
لا نعرفها بالفطرة ولا يخطر لنا ببال على ذلك الترتيب الذى يفيد معرفة
الادلة والحدود، ومن أنكر ذلك الحال الذى كنا عليه لم يستحق المراجعة
فحمل الصحابة على معرفته رجالهم ونسائهم وفطنائهم وبلدانهم من غير
تعليم مما يبان طرائق الانصاف فان اختصاص جميع العقلاء في ذلك
الزمان بأمر لا يوجد في واحد من العقلاء في هذا الزمان من خوارق
العادة المتنعة عقلا ولم تختلف إلا في اللغة العربية وقد كانوا في
البلادة بحيث عبدوا الجماد الذين هم أشرف منه بالضرورة وكذلك غير
المؤيد بالله من القدماء والمتأخرين يسلك المسالك السهلة في النظر وكذلك
اعتمد هذه الطريقة محمد بن منصور الكوفي المرادى محب أهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى سأله الناصر الكبير أن يجمع له اختلاف
آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ذكره المؤيد بالله في زيادات قال محمد
ابن منصور في كتاب التوحيد والجملة بعد المبالغة في الاكتفاء بما في كتاب

الله تعالى من الأدلة ما لفظه: وقد أوضح الله حجته على خلقه بما جعل فيهم من تركيب الخلق وآثار الصنعة والتعريب والتأليف واختلاف الحواس وقوام بعضها ببعض وأدراك بعضها ما لم يدركه بعض إذ خلقها سبحانه لذلك وجعلها تقوم بجزأين مختلفين نفس وجسد، ثم ألف بينهما بلطيف تديره؛ وأحكم تركيبهما بحسن تصويره؛ فجعلهما شخصا واحدا مكلا محتملا للزيادة والنقصان عالما بنفسه عاجزا عن اجتلاب محابه ودفع مكروهه فمن كان بهذه الصفة علم علما يقينيا واجبا اضطراريا أنه مبتدع مصنوع مملوكة عليه أموره وأن صانعه غيره، وأن صانعه بأن من جميع صفته انتهى بحروفه* وقد جمعت كتابا في طريقة أهل البيت والسلف في الاستدلال، ووقوف الولد عليه أسهل من نقله إلى هنا، وأشارت فيه إلى احتجاج الهادي في هذه المسئلة في كتاب البائع المدرك وتقرير السيد أبي طالب له في شرحه وذكر ما يحزى المكلف في أول المنتخب كما ذكر ذلك المؤيد بالله في آخر الافادة وآخر الزيادات، وغيرهما من الأئمة السابقين والسادات، فقف عليه أو على ماشرت إليه في هذه المصنفات (واعلم) أن معرفة الله تعالى اجلي وأظهر من دليل الأكوان والقطع بتوقفها عليه يستلزم القطع بأنها خفي منه لأن الدليل اجلي من المدلول عليه ولذلك كان له معرفا وقد حكى الله في كتابه العزيز عن رساله الكرام الذين هم خيرته من الانام ما يدل على ذلك حيث قال الله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) * وقد أجمع أهل الملل الدينية وأهل الفرق الاسلامية على وضوح الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى واشتد اختلافهم في الأكوان وعلمت دقته بالضرورة عند من حققه فكيف يكون

ما اشتهد اختلافهم فيه وعلمت دقته وغموضه كاشفاً وموضحاً ومجلياً لما
أجمعوا على وضوحه وسهولته * وقد نص ابن متويه على كثرة الشبه في دليل
الأكوان * وقد استحسن علماء النظر قول بعض الاعراب وقد سئل
بهم عرفت ربك ؟ فقال البعرة تدل على البعير ، وآثار الخطى تدل على المسير
فهيكلك علوى ، وجوهر سفلى ، لم لا يدلان على العليم الخبير !! وإلى هذا
أشارت الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما حكى الله تعالى عنهم في قوله (قالت
رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض ، فقولهم فاطر السموات
والارض اشارة الى استنكار الشك فيمن هذا صنعه وأثره ، والاثار الخبير
يدل على صاحبه . فكيف لا يدل هذا الامر العظيم بما اشتمل عليه من
الآيات والاعاجيب على صانعه ، وبأى شيء أعظم منه يناظر من أنكره
ولقد قالت طائفة منهم جليلة من شيوخ النظر والاعتزال بأن المعارف
ضرورية غنية عن القيل والقال . ولو ذهب اليه ذاهب لكان قوياً مع
طرح النظر لكن مع القول بأن النظر شرط اعتبارى كما هو قول محققهم
لحقيقة النظر على هذا القول تجريد القلب عن الغفلات كما قال مختار وقد
أشار اليه الجوينى فى برهانه ، والمقويات لهذا القول كثيرة من الآيات
والآثار ، وأحوال السلف الأبرار ، فلقد كانوا أشد الناس يقيناً مع عدم
خوضهم فى ترتيب الأدلة وشروط الانتاج وتقسيم الأشكال وتحجير
الجواب والأشكال . ولولم يرد فى ذلك الا قوله تعالى (فاقم وجهك للدين
حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)
وقوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث متفق

على صحته ، واليه أشار على عليه السلام بقوله: (فبعث فيهم رسله ليستادوهم
ميثاق فطرته كما شرحه ابن أبي الحديد في أول خطبة في النهج في قوله الذي
شهدت له اعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود ، ومن ذلك قول
الرسول عليهم الصلاة والسلام في الله شك وقوله تعالى (الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين) وفي الحرز لا ريب فيه من رب العالمين . فان قيل
إذا أتمر قليل النظر فكثيره أولى قلنا هذا صحيح إذا كان المنظور فيه هو ما نظر
فيه الساف من عجائب المخلوقات ، أما إذا نظر فيما نظر فيه غيرهم مما لا طريق
إلى معرفة كفيته ، وهو النظر في الله وخفيات صفاته ودقق ذلك خيف
عليه ، وقد قيل من نظر في الخالق ألد ، ومن نظر في المخلوق وحده ، وروى
النهي عن هذا واشتهر التحذير عنه . واما نظر الخليل عليه السلام في
كيفية فعل واحد من أفعال الله وهو كيف يحيى الموتى ولم يهتد اليه بعقله
وهو من أفضل العقول وأكملها حتى سأل الله أن يريه ذلك ليطمئن
قلبه ، فكيف من نظر في كيفية القديم وإحكامه ، وهو لا يالف الا الحدوث
وبهذا تعرف أن الخليل عليه السلام لم يطلب طمأنينة قلبه بوجود ربه بل معرفة
كيفية خفية من كفيات أفعاله لأن ما رجع إلى ربه وسأله تعريف تلك الكيفية
لكمال يقينه بوجود ذاته ومعرفة أنه الذي يهب المعارف وكله ربه وراجع وأجابه
وربما كان ذلك في أول أحوال تكليفه كقوله لئن لم يهدني ربى لاكون من القوم
الضالين . و. أشبه قول خليل عليه السلام كيف يحيى الموتى بقول زكريا عليه
السلام أنى يكون لى غلام وقد بانغت من الكبر عتيا ، وقول مريم أنى يكون لى ولد
ولم يمسنى بشر ولم ألك بغياء ، فإن كلهم سأل من الله زيادة من العلم وهى موهبة
من مواهبه وكذلك سأل الملائكة ذلك في قولهم أجعل فيها من يفسد فيها

(ومن أصعب) ما يرد على المتكلمين من أدلة القائلين بأن المعارف ضرورية أو ظنية وأنها حاصلة عقب النظر لأنه شرط اعتباري أمران (أحدهما) أن الفرق عند المتكلمين بين الضروري والاستدلالي حصول التجويز منا أن ترد شبهة تقدر في الاستدلال وهذا التجويز وإن كانت صورته في الظاهر خاصة بالإستقبال إلا أنه يلزم من كل نوع خاص حصول جنسه العام ويستحيل وجود النوع الخاص مع امتناع جنسه العام اذ لو استحال وجود جنس الحيوان لاستحال وجود نوع الانسان وكذلك لو استحال في مسئلتنا وجود جنس الشك في الاستدلالي لاستحال وجود نوع الشك المستقبل وهذه طريقة للمتكلمين في الاستدلال، وفيها عندي نظر ليس هذا موضع تحقيقه، وأوضح من ذلك أن تجويز ورود الشبهة لا يختص بوقت معين في البعد والقرب فذلك يجوز في كل وقت مستقبل وحاضر، ودخل في ذلك حال العلم وما بعده وذلك مستلزم تجويزه في الحال وإنما اختص الاستقبال بمعرفة الوارد من الشبه بعينه وتأثيره ومعرفة أثره لأن كل واحد منهما ينقسم أما الوارد فقد يكون من البراهين وهي اقترانية واستثنائية وكل منهما ينقسم، وقد يكون من الاعتراضات فهي نوعان: معارضة وقدح وينقسمان إلى نيف وعشرين. وأما أثره فقد يكون شكاً وقطعاً والقطع إما بالبطلان فقط وإما بصحة تقيض أو مخالف معه وبالجملة فتجويز بطلان العلم وانعكاس الاعتقاد شك باخرينا في اليقين الجازم وينافي البيان بكل حال عند التشكيك. والعلم الحق ما جمع ثلاثة أشياء (الجزم) و (المطابقة) و (الثبات عند التشكيك) ويبطلان واحد منها يبطل العلم فتأمل ذلك وجوده فيه النظر، فإن قيل إنما أرادوا

(م - ٧ - ترجيح)

أنه يجوز نسيان بعض مقدمات الدليل اذا كثرت، وأما مع استحضارها فلا يجوز (قلنا) هذا غير صحيح لعدم النقل ولاختلال المعنى . أما عدم النقل فواضح وعلى الناقل البيان . وأما اختلال المعنى فن وجهين : « أحدهما » أن النسيان ضرورى وهذا القدر مجوز فى العلوم كلها ضروريا ونظريها ، وتجوز النسيان كتحوير زوال العقل أو استغراق الفكر بحادث ضرورى كالمشغول بمفاجأة سبع قتال أو عدو صوال فان اشتغاله بالنظر فى نجاة نفسه فى الحال يمنع بالضرورة من تذكر العلوم الضرورية بل قد يشغله ذلك عن إدراك كثير من المدركات الحاضرة البينة « وثانيهما » أن المتكلمين انما ذكروا ذلك لانه موجود مع أهل العلوم النظرية بالضرورة فان هذا التجويز ضرورى ومستنده التجربة المستمرة فى ذلك . ومعنى هذا الشك أن الناظر يجوز ورود شبهة قاذحة فى أحد أركان دليله المستحضرة ، ولو لم يجوز ذلك لعلم الانتفاء ، ولو علم الانتفاء لكان علمه ضروريا أو نظريا وكلاهما ممتنع ، أما الضرورى فبالا تفاق وأما النظرى فلعدم وجود دليل على ذلك الا عدم الوجدان ، وهو لا يفيد القطع بالوافق والتجربة وكفى من طالب أمر لا يجده فى وقته ثم يجده بعد مدة خصوصا فى الانظار والمعارضات ولذلك كثر رجوع العلماء وتعارضهم فى ذلك . فدل هذا على أن أدلة المتكلمين المتنازع فيها بين عقلاء علماء الاسلام بعد تكرار النظر وقصد الانصاف لا تفيد العلم اليقضى الا ما انتهى منها الى الضرورة بحيث يقطع العالم به على استحالة شكه فيه مادام حاضر الذهن صحيح العقل وهذا يرفع كثيرا من علم الكلام (وثانيهما) أنا وجدناهم لا يزالون يخوضون فى النظر فى الدليل

على الامر الجلى حتى ينتهوا إلى دعاوى محضه في أمور دقيقة خفية هي أخفى مما جعلوا الخوض فيها وسيلة الى معرفته، وانما جعل الدليل معرفا للمدلول فلا يصح أن يكون أخفى منه . ألا ترى أن البهاشمة تقول أنا بعد العلم بحدوث العالم نحتاج الى البحث عن دليل يدل على أن له محدثا، مع أن العلم بحاجة الحادث إلى المحدث ضرورى عند أبي الحسين وكثير من الشيوخ وهو الامر المتعارف بين العقلاء حتى أن الصبيان والبهايم تدرك ذلك، ومتى طلبت دليلا على ذلك لم تجده قط الا تكثيرا أو تطويلا في العبارة . وحاصله يرجع الى دعوى الضرورة في مثل هذا بل لا يجب عندهم الوصول الى سكون النفس فقط، ثم اذا ثبت أن لهذا العالم صانعا احتجنا عندهم الى دليل آخر يستدل به على أنه موجود ليس بمعدوم وهذا أعجب من الاول فالاعتقاد الجازم باستحالة عدم الصانع المحكم ووجوب وجوده ضرورى وهو أجلى من الدليل المستنبط عليه واذا أمكنت المنازعة في هذا أمكن النزاع في دليله . وأنا أورد لك كلام علماء الكلام في هذه المسئلة لتعرف صحة كلامى وتعتبر ولا أقبل الا ألفاظ المتزلة من كتبهم المشهورة فأقول :

قال الشيخ العلامة مختار بن محمود في المجتبى في المسئلة الثالثة من خاتمة أبواب العدل ما لفظه :

﴿ المسئلة الثالثة في اثبات أن صانع العالم موجود ﴾

الكلام في هذه المسئلة يختلف باختلاف الناس في الوجود . فمن قال وجود الشيء ذاته وحقيقته . قال إذا دللنا على أنه لا بد للعالم من صانع علمنا أنه موجود لأن الشك في عدمه بعد العلم بثبوته شك في انتفائه بعد ثبوته وأنه خلف وانما

قلنا انه شك في انتفائه لان أهل اللغة يستعملون في لفظ العدم لفظ النفي بالترادف، والنفي والثبوت يتقابلان فكذلك العدم والثبوت، فكل ما كان ثابتا لا يكون معدوما. وإذا لم يكن الباري معدوما كان موجودا، فصحيح ما دميناه أنه اذا ثبت أنه لا بد من صانع للعالم ظهر وجوده. وإليه ذهب كثير من المشايخ كأبي الهذيل وهشام الفوطي وهشام البرذعي وأبي الحسين البصري وشيخنا ذكي الدين محمود الخوارزمي ورحمهم الله تعالى ومن السنية أبو بكر الباقلاني وأتباعه ومن قال وجود الذات زائد على حقيقتها غير منفك عنها. وهذا قول أكثر الفلاسفة والاشعرية ومن تابعهم فيه قالوا أيضا الدليل على ثبوت حقيقته دليل على وجوده لان وجوده عندهم لا ينفك عن حقيقته. وأما من قال وجود الذات زائد عليها ومنفك عنها زعم أن الحقائق متقررة مع انتفاء الوجود عنها وهم جمع من المشايخ كأبي يعقوب الشحام وأبي علي الجبائي وأبي هاشم وأبي حسين الخياط وأبي القاسم البلخي وأبي عبد الله البصري وقاضي القضاة وأبي رشيد وابن متويه وأتباعهم، وزعموا أن المعدومات قبل وجودها ذوات وأعيان وحقائق وأن تأثير الفاعل في جعل تلك الذوات على صفة الوجود لا على الذوات. ثم اتفق هؤلاء على أن الذوات لا تختلف إلا بالصفات واختلفوا في أنها هل هي موصوفة حال عدمها قال ابن عياش والكعبي أنها غير موصوفة بشيء من الصفات قال خاتمة أهل الأصول تقي الأئمة العجالي وما نقل عن الكعبي أن المعدوم شيء، يريد به أنه معلوم قال علي ما ذهب إليه أبو الحسين البصري وهو غير كونه دائما ذاتا. وقال غيرهما من هؤلاء المشايخ إنها في حال عدمها موصوفة فقال أبو علي وأبو هاشم بالصفات وقاضي

القضاة . وتلامذتهم إن للجوهر أربع صفات الجوهرية وهي :
 صفة ذات ، والتحييز ، وهي صفة مقتضاة عن الجوهرية ، والوجود ، وهي
 الصفة التي بالفاعل ، والكائنية ، وهي الثابتة بالمعنى عندهم وكذا سائر النوات
 موصوفة بأمثال هذه الصفات إلا الكائنية فإنها لا تصح في الاعراض والسواد
 له صفة السوادية وهي تقتضي هيئة السوادية عند الوجود ، وبعضهم جعل
 صفة التحييز والجوهرية واحدة . وقال أبو الحسين الخياط إنه متحييز ومحل
 للمعاني وجسم حال العدم وجوز أبو يعقوب رجلا راكباً على فرس في العدم
 ثم انهم بعد اختلافهم اتفقوا بأن للعالم صانعاً محدثاً قادراً عالماً حياً
 سمياً بصيراً حكيماً محسناً باعناً للرسائل مقيماً للقيامة مثيباً معاقباً نشك
 أنه موجود أو معدوم وإنما يتبين وجوده بدلالة مستأنفة وكذلك
 اتفقوا على أن في العدم أنواعاً وأجناساً مختلفة بالصفات ويكون من كل جنس
 أعداد غير متناهية تمكن الإشارة العقلية إلى كل واحد منها وإلى مآثلها ونخالها
 قال تقي الأئمة العجالي إن كل من سمع ذلك من العقلاء قبل أن
 يتلوث خاطره بالاعتقادات التقليدية فإنه يقطع ببطالان هذه المذاهب
 ويتمجب أن يكون في الوجود عاقل تسمح نفسه بمثل هذه الاعتقادات
 ويلزمهم أن يجوزوا فيما شاهدوه من الأجسام والاعراض أن تكون
 كلها معدومة لأن الوجود غير مدرك عندهم والالزم أن يرى الله لوجوده
 بل إنما يتناوله الإدراك للصفة المقتضاة عندهم وهي صفة التحييز وهيئة
 السواد والبياض فيهما ، غاية الأمر أن الجوهرية عند بعضهم تقتضي التحييز
 بشرط الوجود ولكن الترتيب في الوجود لا يقتضي الترتيب في العلم كما

في صفة الحياة والعلم فيلزمهم أن يشكوا بعد هذه المشاهدة في وجودها وكل مذهب يؤدي إلى هذه التمحلات ، والخصم مع هذا يريد سفاهة ولجاجا فالواجب على العاقل الفطن الاعراض عنه والتمسك بقوله تعالى «واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ومن ذم من السلف الصالح الكلام والمتكلمين إنما عنوا أمثال هؤلاء ظاهرا والله الموفق انتهى بحروفه . وهذا كلام أئمة الاعتزال بعضهم في بعض وفيه اعتراف بدم السلف الصالح للكلام والمتكلمين . وتأويل ذلك بالغلو في الكلام ومن ذلك ما قدمنا من القاسم والهادي والناصر من ذم الكلام وما ذكره صاحب الجامع الكافي عن متقدمي العترة من ذلك كزين العابدين وزيد بن علي والصادق والباقر وعبدالله بن موسى وأحمد بن عيسى والحسن بن يحيى وصنف محمد بن منصور في ذلك كتاب الجملة والألفه ونقل عن هؤلاء وغيرهم النهي والكراهية للكلام والخوض فيه وكذا فقهاء الاسلام وأئمة الحديث وجميع السلف المتقدمين كانوا على ترك هذا وبعضهم ينهى وبعضهم يقرر الناهي وهو من أصح الاجماع السكوتية والله أعلم

فمن عرف أن الموجب لهذه الامور هو عدم القنوع بما في الفطر من اليقين بأوائل الأدلة الجلية ، مثل كون الحوادث اليومية ، وخصوصا المعجزات فإنه لا بد لها من محدث موجود قادر عالم وان المصنوعات المحكمة تحتاج الى أمثال ذلك وان الخائضين في هذه المجازات أرادوا تصحيح هذه الجليات فوقعوا في أخفى منها لم يستنكر كلام أهل المعارف * وقد قال مختار في الفصل الثامن من مقدمات المجتبى ما لفظه: وقال شيخنا خاتمة أهل

الأصول ركن الدين الخوارزمي رحمه الله في الفائق في الجواب عن شبهة المعجزاتهم كلفوا أن يسمعوا أوائل الدلائل التي تتسارع إلى فهم كل عاقل فإن فهموا ذلك كنفاهم عما، ولسنا نكلفهم تلخيص العبارة كما يقول العلماء وذلك ممكن لكل عاقل فإن لم يمكنهم الوقوف عليها فانهم غير مكلفين أصلاً * قال مختار وثبت بما أشار إليه أن الوقوف بأوائل الدلائل كاف لأهل الجمل ولا تلزمهم الأبحاث العميقة في غوامضها وأن تركيب الأدلة على ترتيبها المنطقي أو النظري ليس بشرط للعلم بالله تعالى وبصفاته ، وأن من يعجز عن النظر في أوائلها والوقوف عليها غير مكلف مثل كثير من العوام والعبيد والنسوان انتهى بحروفه وهو شبيه بكلام أهل المعارف ، ولقائل أن يقول : الوقوف على أوائل الدلائل هو الذي كان عليه السلف بل الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء وسائر العقلاء ومن شك فيها فهو أولى بالشك في المباحث العميقة التي هي عند التكلمين معارف ، لثبوت أوائل المباحث الجليات ، وكيف يعرف الجلي بالظني والبحث لا يزيد الأمر الأدقة كما قال ابن أبي الحديد

فاذا الذي استكثرت منه هو الـ جاني على عظام المحن

وما صارت السوفسطائية إلى إنكار العلوم إلا من شدة البحث بدليل أنه ليس في أهل الجمل من ينكر الضرورة ولا من ألزم إنكارها، ولعل كل طائفة من المعتزلة وغيرهم تنكر شيئاً من الضروريات أو تلزم ذلك، إلا ترى إلى ما تقدم من إلزام أصحاب أبي الحسين للبهاشمة الشك في المشاهدات كلها، وكذا أبو علي يلزم هؤلاء مثل ذلك لأنه يقول ألا كوان مشاهدة وهم ينكرونها

بل يلزمه أن يلزم ولده أباهاشم وأصحابه وأكثر المعتزلة إنكار المشاهدة
الضرورية لانهم ينكرون مشاهدة الاكوان وينكرون ثبوتها إلا
أباهاشم وأصحابه * وقول الخوارزمي بالتزام عدم تكليف من لا يفهم أوائل
الأدلة مستلزم تجويزه وجود من لا يفهم وذلك ممنوع ، لانا نعلم عموم
التكليف لمن ليس بمجنون وذلك يستلزم انهم يفهمون ذلك القدر
ومن قال انه لا يفهمه . علمنا أنه معاند وان صدق فلانه لم يلتفت الى
ذلك فعدم فهمه لعدم التفاته وأصراره على تعمد الاضرار عن الشرائع
وأهلها ومما يوضح ما ذكرته من أن التعمق هو سبب الشكوك والحيرة أنا
جربنا ذلك في أجلى من العلوم الدقيقة وهي الطهارة والنية وهما من الامور
الضرورية والوجدانية وما شك فيهما إلا من تعمق ولم يسلك مسلك
السلف فيخرج بذلك من صفات العقلاء ويشك فيما يرى وهو مشاهد
وفيما يرى وهو وجداني وهذا في العقول كأمراض الاجسام فنسأل الله العافية
من كل مرض ، ومن كل غلو في جسم أو عرض ، ومن لم ينفعه الدواء
الرباني والنبوي لم ينفعه الدواء الجبائي والمتوى * لا يقال أبطلتم النظر
كله ببعضه لانا لم تنف النظر كله بل أثبتنا النظر في أوائل الأدلة على
طريقة السلف كما نبه عليه القرآن ، وانما منعنا التعمق في اثبات الأمور الجلية
في النظر بطرائق أخفى منها وبيننا بالتجارب وغيرها أن شدة التعمق
لا تنفع في الوسوس ولا تداويها بل تزيدها ولو في حق كثير فيترك
التعرض لما لم يجب من ذلك ويتعين ويتضيق حتى يكون ذلك فيداوى
بأسهل الادوية وأقربها كما قال المؤيد بالله في الزيادات وقد تقدم

نصه في ذلك

«وحدثني حى الفقيه العلامة امام علوم المعقولات (١) أنه وقع منه في بعض أوقاته وساوس وشبه في كل دليل من أدلة علم الكلام فسأل الله أن يلهمه إلى دليل لا يكون للفلاسفة فيه تشكيك فرأى في منامه قائلا يقول له «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» قال فانتبه مسرورا وعرف ان الله تعالى قد استجاب دعوته لان أحدهما البحرين عذب فرات وأحدهما ملح أجاج والعذب يمضى في وسط المالح ولا يخالطه منه شيء من غير حاجز بينهما إلا حاجز القدرة الربانية التي عبر عنها بقوله «بينهما برزخ لا يبغيان» قال وهذا مما لا تدخله شبه الفلاسفة لان مبنى شبههم على الطبع وطبع الماء الاختلاط، وهذان البحران معلومان بالتواتر لمن بحث الاخبار، يشاهدتهما التجار وأهل الاسفار، كما تعلم قاصيات المدائن والامصار* وكان رحمه الله تعالى يحكى هذا كثيرا وراخيرا من سائر أدلة علم الكلام مع أنه الذى قطع عمره في دقائق هذا العلم فلم يقل ان هذا دليل ضعيف لانه لم يبين على الا كوان ويشغل بتصحيح كلام الشيوخ وتأويل نصوص القرآن* وعندى أن الاستدلال بكل معجز معلوم بالتواتر كذلك لان شبه الماندين منحصرة في القدم والطبع، والمعجز حادث بالضرورة ومخالف للطبع والعوا تد بالضرورة، ولو كان قديما أو موافقا للعوا تد كطلوع الشمس من المشرق في وقت طلوعها استعمال أن يكون معجزا فلذلك احتجت الرسل بالمعجزات على أشدا خلق عنادا وكان هذا هو الذى أحفم به ابراهيم عليه السلام خصمه الكافر الذى زعم أنه يحيى ويميت فقال له ابراهيم عليه السلام «إن الله يأتى

(١) هو الفقيه على بن عبد الله بن أبي الخير اهـ من هامش الاصل

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر » وهذا الذي احتج به موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون وسماء موسى شيئاً مبيناً كما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء حيث قال فرعون له « لئن اتخذت الهة غيرى لأجعلنك من المسجونين » قال موسى عليه الصلاة والسلام « أولو جئتكم بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي ببضء للناظرين إلى قوله فأتني السحرة ساجدين » ولم يقل أحد من جميع فرق المسلمين من المتكلمين وغير المتكلمين إن النظر في فعل الله تعالى المعجز ليس بطريق إلى معرفة الله تعالى ولا قال أحد إن الإعجاز عرض ولا إن معرفة الإعجاز مستحيلة ممن لم يعرف ماهية العرض الاصطلاحي، وما يشغب به المبطلون من التباس المعجزات بالسحر مدفوع بمثل ما تدفع به شبه منكرى العلوم الضرورية سواء، فكما أن نظر الكل الظل ساكناً وطعم المريض العذب مرّاً لا يقدح في الضروريات المكتسبة من الحواس كذلك هذا وهذه معارضة والتحقيق أن الفرق ضرورية الاترى أن المشركين قد لهجوا بهذه الشبهة وقالوا إنه صلى الله عليه وآله وسلم ساحر فلم يلتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من الصحابة إلى الجواب عليهم ولا ذكر الفرق بين السحر والمعجز على طريقة المتكلمين لوضوح الأمر بل نزلوا قلوبهم إنه ساحر منزلة قلوبهم إنه كذاب وقولهم إنه مجنون علما منهم أنهم قد عرفوا الآيات فجحدوها واستيقنتها أنفسهم، وظهر أن الفرق بين النبي والساحر ضرورية لكنه (تارة) يرجع إلى العلم ببراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علم السحر كما

يعلم الانسان براءة كثير من أهله وصحبه من ذلك وهذا يحصل لمعاصريه بالخبرة ولنا بالتواتر واليه الاشارة بقوله تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) وقوله (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لا رتاب المبطلون). وذلك لان السحر ليس من علوم العقل ولا بد من تعلمه من شيوخه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يلق أحدا من علمائه ويتعلم منهم ولم يكن يقرأ فيتعلمه من كتبهم ، وهذا مع قرأه صدقه وأحواله وإرادة الله تعالى لاقامة الحجة يفيد العلم بل نحن نجد العلم بذلك في بعض الاشخاص ممن لم رد الله به اقامة حجة . وقد الفت في هذا المعنى مصنفامفردا سميته البرهان القاطع في معرفة الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع . وذكرت فيه كلام الرازي في كتاب الاربعين له ورأيت الشيخ مختار قد نقله في المجتبى * ومن كلام مختار في الفروق بين السحر والمعجز ما لفظه: على أن صاحب المعجز والسحري فارق صاحب الحيل في الزى والرواء والهيئة والكلام والافعال في كافة الاحوال ، وأتوار العبادة تتلأأ في وجه صاحب المعجزات وآثار الصلاح تلوح في جباه أهل الخيرات شميتهم التحلم والاصطبار ودينتهم الصفح والعفو والاستغفار والجود والسخاء والايتار ، والمصافاة مع المساكين والفقراء والحنو والحذب على الضعفاء ، والاعراض عن زخارف الدنيا واتباع الشهوات والاهواء * وأما أصحاب السحر والحيل فريذائل التزوير لأثمة في وجوههم ، ومخايل الحيل والختل واضحة في جباههم ، قصارى هم استمالة الاغنياء وايتار مواطن الملوك والأمراء ، وغاية أمنيتههم نيل العز والجاه في الدنيا والظفر بما يوافق النفوس والهوى

انتهى*ومن جود الكلام في النبوات الجاحظ فيبحث عن كتابه في ذلك وكذلك السيد الامام المؤيد بالله عليه السلام جود الكلام فيها في بعض كتبه ومن الاحاديث المأثورة في هذا المعنى حديث هرقل مع أبي سفيان الذي أخرجه البخارى فينظر فيه - وتارة - يرجع الى الفرق بين المعجز والسحر بان يكون المعجز محكما باقيا كالقرآن فلا يجوز فيه السحر والا لجوزنا في جميع ما يحكى في الكتب من الاشعار أنها سحر بل في جميع الضروريات - وتارة - يرجع إلى مجموعهما فيكون أقوى كما في القرآن العظيم ، وبقية الفروق بين السحر والمعجز ليس مما يختص بأهل التدقيق في العقليات بل هو من أوضح المعارف مثل كون السحر في من تعلمه علمه وكونه لاحقيقة له ولا آثاره في فيل ولا سبع وانه لا يكون بحسب الاقتراح ولا يكون إلا بشروط مخصوصة في بعض الاوقات ومن الفروق الواضحة بين الانبياء وسائر أهل الخوارق : اتفاق الانبياء فالاول يبشر بالآخر والآخر يصدق الاول، ودعائهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ووعدهم بدار الآخرة، وتخويفهم من عذاب الله تعالى، وإطاعتهم في رحمة الله ، وأما سائر أهل الخوارق فيختلفون في العقائد قطعا فمنهم الجهمي والجبري والاشعري والحنبلي والمعتزلي والمرجئي والرافضي والناصبي بل منهم النصراني واليهودي والمجوسي والفلسفي والدهري والبرهمي وقد ذكر صاحب العوارف طرفا من ذلك صالحا في الباب السابع والاربعين من العوارف وصنف شيخ الاسلام ابن تيمية مصنفا في ذلك سماه الفرق بين الاحوال الربانية والاحوال الشيطانية وهو كتاب نفيس في هذا المعنى والله الحمد وانظر بانصاف هل جاء أحد من أهل هذه الحيل

والخوارق والطلاسم والاسحار بمثل هذا القرآن العظيم فى جزالته
وبلاغته وجلالته وكثرة علومه وإخباره بالغيوب وصدقه فيما قد وتم
منها وإخباره عن أحوال المتقدمين وعدم تمكن أعدائه من تكذيبه فى
شئ من ذلك مع عدم علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ضرورة
وهو معنى تصديق القرآن لما مضى بين يديه من كتب الله تعالى ثم انظر
الى عجز جميع الخلائق فى جميع هذه الاعصار المتطاولة عن الايمان
بمثله أو بسورة منه والى بقاء روثقه وجدته على مرور الازمان فالحمد
لله الذى من علينا به وجعلنا من أهله * وقد ذكر الشيخ العلامة مختار
ابن محمود المعزلى المتكلم أحد أئمة أصحاب الشيخ أبى الحسين
البصرى من الأدلة القاطعة على حدوث العالم ستة براهين غير
دليل الاكوان كما مضى ثم ذكر فى الاستدلال على أن الله تعالى محدث العالم
أربع طرائق بعد أن اختار أن العلم بان المحدث لا بدله من محدث ضرورى
كما هو مذهب أبى الحسين وجود الكلام فى ذلك، ثم قال الطريق الرابع
فى إثبات الصانع فهو الاستدلال بحدوث الصفات وسمى هذه طريقة
الاحوال قال وهى الاوفق والاجدى لاكثر العوام والنسوان والجهلة الفارغة
من أهل الوبر والعبدان لسرعة وصولهم الى معرفة المعبود وهذه
الاحوال والصفات منحصرة فى دلائل الانفس والآفاق أما دلائل
الانفس فكما يعرفه كل عاقل من أحوال نفسه أنه كان نقطة فتغيرت
به الاحوال فعاد عاقبة ثم مضى ثم لحما وعصيا وعظاما وآلات وخواص حية
موافقة لمصالحه، ثم بعد الانفصال من قرار مكين تعاقب عليه التكبير

والصغر والضعف والقوة والجهل والعقل والمرض والصحة والشهوة
والنفار (١) إلى أن صار ذاقا مقه حسني مشتهية مشتهاة قادرة عالمة فلا بد لهذه
التغيرات من مغير قادر عالم مخالف لها * وأما دلائل الآفاق فما يحدث
ويتجدد في العالم من طلوع القمرين والسكر والكب وغروبها ومن دوران
الافلاك الدائرات، والسفن الجاريات، والرياح الدائريات، والشهب والصواعق
في الهوى وتغير أحوال الماء وإنشاء النجوم الثقيل؛ وانزال الأمطار على
الوهاد ورعوس الجبال، لتسقى الزرع والاشجار، وتزينها بالازهار والثمار
واختلاف الليل والنهار، والفصول والاحوال وقد جمعها الله تعالى في قوله:
(ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس) الى أن قال (لايات لقوم يعقلون) وإذا عرف كل
عاقل تجدد هذه الامور وتغير هذه الاحوال وعجز الاجسام عنها عرف
معرفة ظاهرة أن لها محدثا مخالفا للاجسام والاعراض هذا كلام
الشيخ مختار بحر وفه ولو لا خشية الاطالة والاملال لذكرت جل البراهين
الستة وبقية الطرق الاربعة فليطالعها الولد في كتاب المجتبى موقفا إن
شاء الله تعالى وينبغي أن يذكر هنا آيات زيد بن عمر وابن نفيل رحمه الله
تعالى في هذا المعنى، وللجاحظ في هذا المعنى كتاب العبر والاعتبار مختصر
نفيس وللرازي في هذا المعنى المجلد الاول من أسرار التنزيل فانه يشتمل على
الاستدلال على الله تعالى بانواع الادلة الجملة غير المعتادة وكذلك أجاب
عن سؤال الطبيعيين بأن الطبيعة لو كانت مؤثرة لكان أثرها واحداً، ولما
كان بعضها عصبيا وبعضها لحاودما وبعضها عظما فعلمنا أنه مختار وقد رأيت كم

(١) في المختار النفار الزعر والنجاف وانظر ما مراد هنا ام مصححه

جمع في الأئمة الواحدة من الأصبع من الأشياء المختلفة فوضع فيها
جلدا ولحما وعصبا وعروفا وشحما ودماء وعظما ومخا وظفرا وشعرا ونبلة واحدا عشر
لونا لكل واحد منها لون يخالف لون الآخر قدرة وحياة وعضبا واستواء
وارتقاعا وانحدارا وخشونة ولينا وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة
وصلابة ورخاوة، ثم خلق في بعضها الحياة دون البعض كالشعر والظفر
والعظم وجعلها مدركة لامور شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة
والثقل والكثرة والرطوبة واليبوسة فتبارك الله أحسن الخالقين انتهى
ما ذكره رحمه الله تعالى وقد أشار الله إلى بطلان مذاهب الطبيعيين
بهذا المعنى ونبه عليه سبحانه وجعل العقل قابلا لذلك مقرا به فقال تعالى
(وفي الأرض قطع متجاورات وكنات من أعناب وزرع ونخل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون) ولا شك أن الفلاسفة وأهل الشكوك الذين
تشككوا في الضروريات لا يكتفون بهذا * وقد ذكر الغزالي شبه
السوفسطائية وذكر أنه لم يتمكن من دفعها من نفسه الا بنور قذفة الله تعالى
في قلبه وقد شاهدنا من شك في الضروريات من الموسوسين: فان أصغينا
أسماعنا إلى دقيق الشبه ووقفنا جلي معرفة الله على ذلك حصل منه أمور
(أحدها) مرض القلوب حيث توقفت معرفة الله على القطع في مواضع
مشكلة لا يخلو القلب من شك فيها لدقتها فترتبط معرفة الله بها ويستلزم
الشك في بعض تلك المشكلات المشتبهات الشك في معرفة الرب الجليلة بنص
كتاب الله وإجماع السلف فان الله تعالى قال « قالت رسلهم في الله شك فاطر

السموات والأرض* (وثانيها) مساواة الفلاسفة والكفرة لنا أو مقارنتهم في تلك الأدلة على الحق في تلك الدقائق وعدم وضوح عنادهم فيها وقلماسلم تلك الدقائق من اختلاف علماء الاسلام فيها فتقول الفلاسفة لابي هاشم وأصحابه مذهبنا يبطلان طريقتهن في الاستدلال كمذهب مخالفينكم من المسلمين وأنتم لا تكفرونهم ولا تنسبونهم إلى العناد فسووا بيننا إن كنتم عدلية كما زعمتم وكذلك تقولون للفريق الثاني* (وثالثها) ما قدمنا من لزوم الشك المطلق لأن كل ناظر يجوز أن يعرض له الشك في تلك الدقائق في المستقبل لسبب، وهذا يستلزم الشك الخاص بالمستقبل وهو بالضرورة يستلزم الشك المطلق، وقد تقدم ما في هذا من النظر والتحقيق، وتوقف معرفة الله تعالى على ذلك يستلزم أنه أجلى منها فيكون الشك فيها أجدر ونحن نحمد الله لا نجد شكاً في الله لا محققاً ولا مجوزاً ولا مقدراً وذلك دليل على أن المعارف ضرورية عادية بعد النظر السهل وأنه لا يجب سواه وإن اختلفت المذاهب عقبيه لحكمة الله والله أعلم* (ورابعها) الأزراء بالسلف الصالح ومن اقتدى بهم واعتقاد قصورهم* (وخامسها) التسبب إلى الاختلاف والتفرق المحرم بنص كتاب الله تعالى* (وسادسها) تكفير من لم يعرف تلك الطرق الدقيقة معرفة محققه مع ما جاء في التكفير من التشديد وأنه من كفر من ليس بكافر كفر ويشهد لذلك أخبار الخوارج الموارق فإن الذي اختصت به الخوارج دون سائر الداخلين في الفتن هو تكفير المسلمين وقد عظم القول فيهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) وقال علي عليه السلام: لو لا أن تكلوا على العمل لأخبرتكم بما لكم من الأجر في قتلهم، وتواتر الحكم عليهم بالروق من الاسلام في الأخبار

كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ والجوامع والمسايد
 وكان أصل قولهم تكفير المسامين بالذنوب فكيف تكفير المسلمين
 بالايان بكتاب الله والبقاء على ما عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وعدم الدخول في غرائب البدع المبتدعات والعجب الكبير
 بذلك، والزراية بالموثمين وان لم يكفروهم بعد سلوك تلك المسالك، والى
 هذه الطريقة التي اخترناها أشار التنزيل في قوله تعالى (وكذلك نرى
 ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وبذلك استدلل
 الخليل عايمه السلام وقد غلط عليه من قال إنه أراد بالافول دليل الاكوان لان
 دليل الاكوان شيء واحد ونسبته إلى القمر والشمس مثل نسبته إلى النجم
 فلو استدلل به لنفسه أو على غيره حين رأى النجم لما انتقض برؤية القمر ثم برؤية
 الشمس ولا كان لقوله (هذا أكبر) في حق الشمس معنى بالنظر إلى
 دليل الاكوان فتأمل ذلك بانصاف وانظر معنى الافول هل يطابق
 معنى الكون في الجهة وما الفرق بين الافول والبروز في لزوم الكون
 للمتحيز ثم ما الفرق بين الافول الاول الذي كان قبل طلوع هذه النيرات
 وبعده بالنظر إلى دليل الاكوان، والله يحب الحق وهو المستعان، وإنما
 الدليل الواضح هو قوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
 والارض وليكون من الموقنين) فجعل علة علمه ويقينه نظر الملكوت
 والعرض الكوني لا يسمى ملكا، فكيف ملكوتا والملكوت اسم مبالغة
 في الملك، ولا فرق بين النظر في أحقر مخلوق وبين رؤية العرش والكرسي
 وجميع المحجوب من الملكوت والملائكة عند الخضم فلم يختص القرآن

بالامر بالنظر في ملكوت السموات والارض وتكرر هذا وترك ذلك الذي عندكم انه لا يعرف الله بسواه ، وكيف يجوز في العادات أن تنصرم الدهور وكتب الله خالية عن التصريح بأمر لا يعرف الله بسواه ورسله المبعوث بالهدى لا تذكره لاحد ممن اتبعها وتعلم الهدى منها وكذلك من عاصروهم وكلام الله أبلغ الكلام ، والبلاغة مشتقة من بلوغ المتكلم بكلامه الى بيان مراده ووضوح مقصده وتخليصه من نقص الخطأ والتقصير عن اصابة الشوا كل (١) ولصق المفصل ، فما الملقى الى ترك التصريح بل ترك التلويح الى ما لا يعرف الرب جل جلاله بغيره ، أما ترك التصريح فبين وأما ترك التلويح فلانه ليس بعد النص إلا المفهوم وله أقسام وشروط لم يأت ذكر الاستدلال بالاكوان على قوى منها ولا ضعيف ، ومن العجائب أنهم يحتجون بما ليس لهم فيه حجة ولا شبهة كما تقدم في قصة ابراهيم عليه السلام وكما يذكر في قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) الا تراه انما ذكر ما ليس يكون عند الخصوم وإنما ذكر الاجسام والاحوال * أما الاجسام فالابل والسماء ، والجبال والارض * وأما الاحوال فالخلق والنصب والرفع والسطح فهذه أحوال مختلفة وهي مع اختلافها محكمة واختلافها وإحكامها مناسب للمصالح وذلك دليل على حكم صنعها لان العقول تقضى بذلك في أدنى من هذه الامور وأدنى ما فيها من الاحكام العظيم فلو أراد ما ادعوا من الاشارة الى الحركة والسكون ما خالف بين العبارات في الجبال والارض والسموات لانها كلها ساكنة فيما يرى فلم سمي سكون السماء رفعا وسكون الجبال نصبا وسكون الارض سطحا وما الحامل على هذه واين هذا من علوم

(١) الشوا كل الطرق المتشعبة عن الطريق الاعظم اهـ مصححه من القاموس

المعاني والبيان ولذلك قال الزمخشري رحمه الله في كشفه في رد بعض تأويلاتهم مما لا يطابق البلاغة وما هذا الا من ضيق الفطر والمسافرة عن علم البيان مسافة أعوام ، وبالجملة فالقوم من علماء الاسلام ولكل خطأ وصواب ، وفي كل كلام قشر ، ولباب وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا من عصم الله تعالى ، ولنا من الخطأ أكثر مما هو لهم وليس القصد تركية النفس والازراء بمن لا تساوى ولا تقارب أدنى مراتبه ، وانما القصد ترك الغلو منهم المخرج لهم في المعنى عن حد البشر وان كان المعظم لا يصرح بذلك في لفظه فقد كاد يعاملهم تلك المعاملة أو يخاف من وقوع ذلك من غيره ولو في المستقبل فان المحقرات وسائل الى العظائم * وقد روى أن أصل عباد الاصنام في قريش أو في العرب كانوا يحملون في أسفارهم من حجارة الحرم يتبركون بها ، وقد فسر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تتخذوا قبوري عيدا) بنحو ذلك وقيل انما لم يبرز قبره حيث قبر في بيته خوفا من ذلك ، ولذلك قال عدى بن حاتم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألم يحرموا ما حرموا ويحلوا ما أحلوا قال بلى قال هو ذاك) وانما استكثرت من نسبة الأدلة الى العلماء وإن كانت الأدلة كافية بانفسها لما رأيت في طباع الناس من الاستئناس بالقائلين بالأدلة وجربت ذلك والله تعالى يسامح الجميع ويهدينا ويلهمنا الى الصواب ، والذي أظنه في الشيخ أبي هاشم رحمه الله تعالى انه لا ينكر أن الحوادث المعلوم حدوثها للنبي آدم والسحاب والمطر والنبات تدل على

الله تعالى من غير حاجة الى الاكوان وان كانت الطبائعيون تشعب في ذلك فالجواب عليهم الحق لا يقدر في الاستدلال كما أن التشعبين في دليل الاكوان من أئمة الاسلام والفلاسفة كثير لم يقدر حوافيه عند الشيخ وأبعد من ذلك من القدر والريب دليل المعجزات ، وكيف يقدر الشيخ في هذه الاشياء مع تنبيه القرآن الذي لا يمكن تأويله على أنها أدلة ، وكيف يمكن الجمع بين الايمان بالقرآن وبأن هذه الامور لا تدل على الله وانما أراد الشيخ نفي الأدلة العامة لكل متعيز من جسم وجوهر محكم وغير محكم على نظره وطريقته . فهذا يتمشى فيه اختلاف الانظار دون ما ذكرناه والله سبحانه أعلم بل نص ابن متويه في أول المحيط على أن ابا هاشم رحمه الله انما قال إنه لا طريق عند أبي هاشم يستدل بها على حدوث الجسم غير الاكوان ولم يقل على وجود الرب فوضح ما ذكرته نصا وكان ظنا والله الحمد والمنة وأستغفر الله العظيم من كل خطأ في عمل أو نظر قصرت فيه وهذا تمام المقام الاول وذكر الحجة على الله تعالى من غير طريق الاكوان ومن قال بذلك (المقام الثاني) في ذكر الوجه في عدولي عن دليل الاكوان وما عرض لي فيه من المباحث والكلام في ذلك يطول وقد كنت ناظرت في ذلك مناظرات طويلة وكتبتها وذهبت عنى وبقي منها شيء وقد رأيت أن أقصر على ما ذكره من هو أعرض مى بالنو جد على هذا العلم وأغوص منى على الاطائف وهذا البحر معترفا بالتقصير في معرفة بعض عباراتهم في مقاصد الدقيقة ، واقفا على سواحل هذه البحار العميقة ، مكتفيا منها بما عرفته مستعينا بالنمساك بالعروة الوثقى عما لم أعرفه معرضا للسائل أيده الله تعالى الى النظر بالعدل

والحكم بالانصاف بين هؤلاء المختلفين وإن كان لسان حالهم ينشد للمتعرضين

أقول لحرز لما التقينا تنكب لا يقطرك الزحام

قال الشيخ العلامة مختار بن محمود في خاتمة أبواب العدل والتوحيد المشتملة على أربعين مسألة مما اختلف فيه المعتزلة وأهلها مسألة الاكوان قال فيها رحمة الله تعالى (المسألة الاولى في الاكوان) قال أكثر شيوخ المعتزلة من البصرية والبغدادية باتتفاهاً وهو اختيار ناصر الاسلام أبي الحسين وقال أبو هاشم وأصحابه بثبوتها ولا بد من بيان المراد بالسكون في المقام أولاً وتلخيص محل النزاع فنقول: كل من أراد تحريك الجسم أو تسكينه يفعل اعتمادات من الجذب أو الدفع أو الامساك فيحصل التحرك وهل يفعل شيئاً آخر حتى يحصل التحرك والسكون أم يحصل بتلك الاعتمادات؟ فذهب أبو هاشم وأصحابه إلى أنه يحصل معنى آخر غيرهما يحصل التحرك والسكون به وسموه الحركة والسكون، وذهب سائر الشيوخ إلى نفيه - والحاصل - أنه ليس بين اعتماد القادر في محل قدرته والتحرك والسكون واسطة ومعنى زائد به يحصل التحرك والسكون، عندنا خلافاً لهم وكذلك من رمى حجراً أو سهماً تولد هذه الاعتمادات الحاصلة في الجهة الاولى اعتمادات أخرى في الجهة التي تليها إلى أن يصل المرمى، وعند البهشية الاعتمادات الاولى تولد اعتمادات ومعنى حتى يتحرك من الجهة الاولى إلى الثانية ثم تلك الاعتمادات لتولد اعتمادات وحركة وهكذا إلى أن يصل إلى المرمى أو نفي الاعتمادات فيسقط ولا بد للخائض في هذه المسألة من تحقق ما ذكرناه فإن البهشية فيها خبطاً كثيراً ومغالطات وترددات لا تندفع إلا به فالجهة لأصحابنا في ذلك من وجوه (الجهة الاولى) أنه لو ثبت هذا الزائد وهو فعل القادر وجب أن يعلمه فاعله جملة أو تفصيلاً

واللازم منتف فينتفى الملزوم، وإنما قلنا بأنه لو فعله لعلمه جملة أو تفصيلاً لأن القادر هو المؤثر بحسب الداعي، والداعي إلى المدعو إليه لا يتصور بدون علمه جملة أو تفصيلاً فثبت أنه لو كان فعل القادر لعلمه جملة أو تفصيلاً، وإنما قلنا أن اللازم منتف لأن هذا المعنى الزائد لا يخطر ببالنا عند تحريك الأشياء وتسكينها وجذبها ودفعها أصلاً فضلاً من أن يعلمها خصوصاً في حق العوام فإنهم لا يفهمونه بالتفهم البليغ فضلاً من أن يعلموه بالمشاهدة (الحجة الثانية) أنه لو ثبت هذا الأمر الزائد لزم أحد أمور ممتنعة وهو إما تخلف اللازم عن الملزوم أو مخالفة الإجماع أو التناقض لأنه لو ثبت هذا الأمر الزائد ففعله لا يخلو إما أن يتوقف على الداعي أو لم يتوقف فإن لم يتوقف يلزم تخلف اللازم عن الملزوم، لأن الداعي يلزم فعل القادر المختار وإن توقف فلا يخلو إما أن يكون شاملاً للفعل المباشر والتولد أو لا يكون فإن لم يكن يلزم مخالفة الإجماع لأن ثبوت هذا المعنى الزائد غير شامل منتف بالإجماع، أما عندنا فلا تنفائه أصلاً وأما عندنا البهيمية فثبتوا شاملاً وإن كان شاملاً يلزم مباشرة هذا المعنى الزائد بالداعي فيكون معلوماً للمباشر إجمالاً وتفصيلاً مع أنه غير معلوم له فيلزم التناقض وما يؤدي إلى الممتنع فهو ممتنع (الحجة الثالثة) أنه لو ثبت ذلك المعنى الزائد فإما أن لا يحصل في الجسم المتحرك ولا سبيل إليه بالإجماع أو يحصل فيه ولا سبيل إليه لأنه حينئذ لا يخلو إما أن يحصل فيه في الحيز الأول ويوجب كونه كائناً في الحيز الثاني أو يتوقف حصوله فيه على حصوله في الجهة التي توجب كونه كائناً فيها لا سبيل إلى الأول بالإجماع ولا سبيل إلى الثاني لأنه إذا توقف حصوله فيها على حصوله في الجهة التي توجب كونه كائناً فيها التوقف حصول ذلك المعنى على الكائنة فيها توقف

المشروط على الشرط وتوقفت كائنته فيها على ذلك المعنى الموجب للكائنة فيها توقف المعلول على العلة فيلزم توقف وجود كل واحد منهما على وجود الآخر فيلزم الدور وأنه باطل على ما مر تقريره، فإن قيل لا نسلم بأن القادر هو المؤثر بحسب الداعي وهو مختلف فيه ولئن سلمناه ولكن لا نسلم بأن الداعي يستدعي العلم بل الظن، والتجويز يكفي داعياً كنصب الشبكة للصيد أو التجارة للربح ولئن سلمناه ولكن لا نسلم انتفاء العلم الإجمالي بل هو ثابت للعلماء والعوام لأنهم يعلمون عند التحريك والتسكين أنهم يفعلون أمراً من الأمور وأنه علم إجمالي كمن علم أن زيدا في العشرة وإن لم يعلمه على التفصيل، ولئن سلمناه ولكن الكون الذي يثبت مسبب الاعتماد، والداعي إنما يحتاج إليه في المباشرة دون المسبب كمن رمى أذية من داره أو حجراً من طريقه لا يتوقف على الداعي إلى المرمى هذا على الحجة الأولى، وأما على الحجة الثانية لا نسلم بأن الداعي لازم في فعل القادر المختار وليس كذلك ألا ترى أن اختيار المضطر أحد الطريقين المتساويين أو أحد البابين أو العطشان أحد القدرين المتساويين فعل القادر المختار وإن لم يوجد منه داعي الترجيح وكذلك فعل النائم والساهي فعل القادر المختار وإن تجرد عن الداعي ولئن سلمناه ولكن لا نسلم بأنه يلزم مخالفة الإجماع بتقدير عدم الشمول ولا نسلم بأن هذا الإجماع حجة هذا على الحجة الثانية، وأما على الحجة الثالثة فلا نسلم بأن احتياج كل واحد منهما إلى الآخر منتف وجاز أن يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر في وجوده ثم يوجدان معاً كالعلة والمعلول فإنه لا توجد العلة بدون المعلول ولا المعلول بدون العلة لوجود التقارب كذلك هنا، على أن عين ما ذكرتم لازم في القادر لأنه

لا يجعله في الجهة الثانية الا بعد إخراجـه من الجهة الاولى ولا يخرجـه من
الجهة الاولى إلا بتحصيله في الجهة الثانية فـلـو لم يـهـذا التوقف انتفـ
الموجب وهو الـكون يلزم انتفاء القادر أيضاً وكذلك ينتقض هذا بطريـا
أحد الضدين على محل الآخر فإن السواد انما يحل محل البياض
لو زال البياض وانما يزول البياض إذا حل السواد محله وانه لا يمنع طريـا
كذا هذا ، ولئن سلمنا بأن ما ذكرتم من الحجة يدل على انتفاء الـكون
المختلف فيه ، فعندنا ما يدل على ثبوته ، وقد ذكر أبو هاشم وأصحابـ
لإثباتها حججاً كثيرة ولكن أقواها وأشهرها وأمتنها وأبهرها في زعمـ
واعتقادهم أربعة (أحدها) أن القادر لو قدر على أن يجعل الجسم
كائناً متحركاً أو ساكناً من غير واسطة الـكون لقدر على ذات الجسم (وثانيها)
أنه لو قدر على بعض صفاته من كونه متحركاً أو ساكناً لقدر على سائر صفاته بآـ
يجعله حياً قادراً عالمـ مدركاً سميعاً بصيراً ، واللازم منتف فينتفى اللزـ
وذكروا لهذه الملازمة وجهين (أحدهما) أنه لو قدر على جعله كائناً ساكـ
الجسم متصرفه ومقدوره فيقدر حينئذ على ذاته وسائر صفاته (والثاني) القياس
على الكلام فإنه لما قدر على جعل الكلام خبراً أو أمراً كقوله : تيامنوا وأمرـ
وتهديداً كقوله تعالى «فرشاً فليؤمن ومن شاء فليكفر» قدر على ذات
الكلام وسائر صفاته كذا هذا (وثالثها) أنه لو كان التحريك بالقادر لـ
تعذر عليه تحريك الثقل دون الخفيف لأن المصحح لتحريكهما تحيزـ
وحال القادر معهما على السواء فلا بد من معان وأكوان ثقل وتكـ

فالتقلييل الذي يكفي لتحريك الخفيف لا يفي بتحريك الثقيل ، فهذا يتعذر عليه (ورابعا) من يكون بالفاعل زائدا على الوجود لا يتجدد في حال البقاء . والكاثنية تتجدد في حال البقاء فلا يكون بالفاعل ، بيان الاول من وجوه : أحدها ، أن القبح والحسن لما كان بالفاعل لم يتجدد في حال البقاء فكذا في غيرهما من الصفات . الثاني ، أن كون الكلام أمراً أو خبراً عن زيد أو خبراً عن عمرو لا يتجدد بعد الحدوث لكونه بالفاعل فكذا صفات الاجسام . الثالث ، أنه لا يصح من زيد أن يحمل كلام عمرو خبراً أو أمراً لما أنه لم يحدث به فكذا الجسم لما لم يحدث بالفاعل منا لم يصح منه أن يجعله كائناً ﴿ قلت ﴾ ويمكن أن يقال (وخامساً) لو كان التحرك والسكون بالفاعل لصح منه تركه بعد الاعتماد لان القادر هو الذي يصح منه الترك والفعل ، ولما لم يصح منه الترك دل على أنه بالموجب وهو النكون الذي يصح منه الترك ﴿ الجواب ﴾ (١) قوله : لا نسلم بأن القادر هو المؤثر بحسب الداعي ﴿ قلنا ﴾ لما بيناه في أول الكتاب في أبواب التوحيد ، والثاني ؛ أنا نغني بالقادر هو المؤثر بحسب الداعي إذا لم يمنع مانع وبالموجب خلافه فنقول بتحريك الجسم وسكونه بالقادر على هذا التفسير من غير واسطة الكون والخصم يتكره فصار ملزماً بهذه الحجة وقوله لا نسلم بأن الداعي يستدعي سابقة العلم بالظن والتجوز يكفي ﴿ قلنا ﴾ الجواب عنه من وجهين

(١) هكذا في نسختين خطيتين وفي الثالثة بعد قوله وهو الذي يصح منه الترك فكيف الجواب قوله اطلع ولعلها الصواب اهـ مصححه

أحدهما أن الظن والتجويض للمصلحة في الفعل يستدعي تصور ذلك الفعل والمصلحة، والظن لا يصور الحقائق (والثاني) أنا نحرك الأشياء ولا يكون لنا ظن ولا وهم ولا تجويز لشيء غير الاعتماد والتحرك بل نعتقد انتفاءه، قوله العلم الإجمالي بالكون ثابت لكل أحد لأنه يعلم أنه يفعل أمراً من الأمور قلنا نعم وهو الاعتماد والتحرك ولا كلام فيهما ولكن لا نسلم أنه يفعل أمراً سواهما وهو بين الانتفاء، قوله والكون المختلف فيه مسبب الاعتماد والتحرك ولا كلام فيهما ولكن لا نسلم أنه يفعل أمراً سواهما والداعي إنما يدعو إلى المباشر دون المسبب، قلنا لا نسلم أنه ليس يدعو إلى تحركه وسكونه وأنه مسبب لا مباشر وأن الجواب الثاني أن جميع الأكوّن لا تكون مسببة عند البهشية وإنما المسبب منها ما يوجد في غير محل القدرة أما الموجودة في محل القدرة فهي مباشرة عندهم فنحن نذكر النكتة فيها* قوله الحجة الثانية لا نسلم بأن الداعي لازم للقادر، قلنا الجواب عنه من الوجهين اللذين مر تقريرهما آنفاً. وأما اختيار المضطر أحد الطريقين أو أحد البابين أو أحد القدرين وفعل النائم والساهي فالجواب عنه من وجهين :

(أحدهما) أنا نذكر النكتة في غير المضطر والمتعيز من القادر (والثاني)

أنا لا نسلم انتفاء الداعي عند الاختيار ثمة بل لا يحتاج إلا مرجح لطيف حقيق أو خيالي يثبت عنده ولكن لا يذكر للطفه وضعف قوته قوله لا نسلم مخالفة الإجماع: قلنا لأن ثبوت الكون في بعض الحركات

والسكنات دون البعض منتف بالاجماع، أما عندنا فلم يثبتوا شاملاً وأما عند
الخصم فثبتوا شاملاً فالاجماع منعقد على أحد الشمولين والشمول ينفي
الاختصاص، قوله لم قلتم كان هذا الاجماع حجة (قلنا) لأن المتكلمين
المعتزلة والسنية والفقهاء يستدلون به وهذا آية كونه حجة (والثاني) أن
انتفاء الاختصاص قضية ساعد الخصم عليها، وكل قضية ساعد الخصم
عليها تغني عن إقامة الدليل عليها. قوله: لم قلتم إن احتياج كل واحد
من الكون فيها والكائنية في الجهة الثانية منتف (قلنا) لأن سلم بأن
هذا الاحتياج ليس الا التقارن بينهما في الوجود كزوال البياض عند
حلول السواد، بل هو أمر زائد عليه لأنه لما استحال عندهم أن يكون هذا الكون
بغير محل وفي الجهة الاولى فاشترط في وجوده الى كون محله كائناً في الجهة الثانية
ويستحيل أن يكون كائناً في الجهة الثانية بدون الموجب لكونه كائناً وهو الكون
ويلزم احتياج الاول الى الثاني احتياج المشروط الى الشرط، واحتياج الثاني
الى الاول احتياج المعلول الى العلة، وأنه أمر زائد على نفس التقارن في
الوجود زماناً، وأنه ممتنع لما بينا وقررنا في بطلان الدور أنه يلزم تقدم الشيء على
نفسه وأنه محال، وبهذا تدفع صور النقوض «أما القادر فهو غير محتاج الى
إزالة عن الجهة الاولى بل احتياجه الى تكوينه في الجهة الثانية، فأذن
كونه فيها يزول عن الاولى تبعاً وضرورة لأن يحتاج اليه، وكذا زوال أحد
الضدين لا يتوقف على طريقتي الضد الثاني عليه بل قد يزول بالقادر
أو بما لا يكون ضداً له، قوله لو قدر على التحرك لقدرة على ذات الجسم
وسائر صفاته (قلنا) لأن سلم، قوله الجسم حينئذ يكون مقدوره ومحل

تصرفه (قلنا) من جميع الوجوه أو من هذا الوجه فحسب (الاول)
 ممنوع ولا يمكن دعواه . ألا ترى أن الجسم مقدوره بواسطة الكون
 وليس بمقدور له من جميع الوجوه حتى لا يقدر على ذات الجسم وسائر
 الصفات بواسطة الاكوان ، ولان إلحاقه بالكلام من غير قياس ، فلا يلزم
 من ثبوت حكم ما في ألف ألف صورة ثبوته في غيرها فكيف يلزم من
 ثبوته في صورة واحدة ثبوته في غيرها ألا ترى أن الحيوانات العنصرية
 تحرك فكفها الاسفل في مضغها . والتمساح وحده يحرك فكفه الاعلى
 في مضغه ، ولئن تمسك بالقياس على الكلام وقال انما قدر على ذات
 الكلام وسائر صفاته لكونه قادرا على بعض صفاته وهو
 جعله خبرا أو أمرا أو خبرا عن زيد أو عمرو وهذا معنى موجود في
 الكائنية لو كان بالفاعل فيلزم قدرته على ذات الجسم وسائر صفاته لما
 ذكرنا من العلة الجامعة بينهما (قلنا) الجواب عنه من وجوه

﴿ أحدها ﴾ من حيث القدح في صورة هذا القياس على أصولكم
 أو على العموم ، ذكرتم أنه قدر على ذات الكلام لما قدر على بعض
 صفاته فلا نسلم أولا أن الكلام ذات وهذا لان الذوات ثابتة عندهم
 في الازل دون المركبات والكلام من المركبات

﴿ الثاني ﴾ أن القياس تعديدية الحكم من أصل معلوم إلى فرع معلوم ، والصفات
 بأسرها غير معلومة عندهم ولا يقال الدال على الصفة معلوم لا ناقول الدال على

الحكم اما الذات وحدها ولا سبيل اليه لانها وحدها ليست بدليل بالقطع والایجام، أو الصفة وحدها ولا سبيل اليه لكونها غير معلومة عندكم، أو المجموع ولا سبيل اليه لكون بعضها غير معلوم أو لاشيء منها، وحيثئذ يتتفى منها الدليل أصلاً ﴿والثالث﴾ لا نسلم بأنه يقدر على جعل الكلام خبراً بغير واسطة بل انما يصير خبراً بإرادته الخبر وأمره بإرادته الامر وخبراً عن زيد بن عمر دون زيد بن خالد بواسطة الارادة فاختلف حكم الاصل والفرع وانه يمنع المقايضة ﴿والرابع﴾ إن سلمنا أنه يقدر على جعل الكلام خبراً لكن قلتم بأن القدرة على بعض الصفات علة للقدرة على الذات بل الامر على القلب والعكس لان الذات أصل والصفة تبع . فيجوز أن تكون القدرة على الاصل علة للقدرة على التبع لانه موافق للعقل والشرع ، أما جعل القدرة على التبع علة للقدرة على الاصل فما تستبعده العقول السليمة والطباع المستقيمة عند تظاهر الامارات عليه فكيف اذا لم يكن شبه أمانة ، وكان من وساوس النفس الامارة او على هذا نقول على الوجه الثانى لم قلتم بأن القدرة على بعض الصفات كالخيرية علة للقدرة على غيرها ولم لا يجوز الامر على العكس، ولا يقال بأن القدرة على الذات والقدرة على سائر الصفات تدور مع القدرة على البعض وجوداً وعدمًا لأننا نقول الجواب عنه من وجوه .

أحدها أن القدرة على سائر الصفات كما دارت مع القدرة على البعض دارت مع القدرة على الذات في الكلام فما كان جعل القدرة على الصفة علة أولى من جعل القدرة على الذات علة وقد أشرنا إلى أولوية الثاني، أو نقول يكون المجموع علة وهو القدرة على الذات وعلى هذه الصفة والثاني لا نسلم بأن الدوران دليل على المدار للأثر الدائر وليس كذلك، ألا ترى أن الحكم يدور مع الشرط والعلة المساوية تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا وأحد الحكمين المتلازمين يدور مع الآخر وجوداً وعدمًا وإن لم يكن شيء من ذلك علة وكذلك التحرك يدور مع الاعتماد وإن لم يكن علة له عندكم (والثالث) إن سلمنا دلالة الدوران لكن في حين التعارض لأن القدرة على هذه الصفة تدور مع القدرة على سائر الصفات وجوداً وعدمًا فتكون القدرة عليها علة فلا تكون معلولة، ولا يقال المدعى أن القدرة على بعض الصفات علة للقدرة على الباقي وحينئذ يثبت المدعى لانا نقول لا نسلم بأن ذلك البعض من حيث إنه بعض علة بل كون ذلك البعض علة لكونه قدرة على أعلى الصفات وأعسرهما كالقدرة على الأحياء والاقترار والعقل والشهوة والنار علة للقدرة على التحرك أما على العكس فلا، والدليل الجازم على بطلان هذه القاعدة وما ذكره من القياس أن القادر منا يقدر على تحريك الجسم وتسكينه بواسطة السكون أو بغير واسطة ولا يقدر على ذات الجسم وسائر صفاته كالحياة والقدرة والعلم لا بواسطة ولا بغير واسطة، وفيه مطاعن جمة ومباحث كثيرة أعرضت عن ذكرها لوقوع الكفاية التامة بشيء مما ذكرته قوله لو كان التحريك بالقادر لما تعذر عليه تحريك الثقل دون الخفيف

قلنا الجواب عنه من وجوه أحدها لا نسلم بأن نسبة القادر إليهما على السواء وإنما يكون أن لو كانت اعتماداته أو كوانه كافية لتحريك الثقيل كما تكفي لتحريك الخفيف والاستوى على أن نسبة القادر إليهما بواسطة أو بغير واسطة ليست على السواء بالاجماع (الثاني) أن لا نسلم بأن ذلك الامر المحتاج اليه القابل للقلة والكثرة هي الاكوان بل ذلك عندنا هي الاعتمادات التي يوجد بها القادر في محل القدرة بدليل تفاوت التحريك بتفاوت الاعتمادات (والثالث) أن القول بثبوت ما ذكرتم من الاكوان الموجبة للزيادة في الكائنات يؤدي إلى المحال لأنه يؤدي إلى التزايد في الكائنات والتزايد فيها محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال ، وإنما قلنا إن التزايد في الكائنية محال لاسها عبارة عن شغل الحيز المحال ولا يقال التزايد في الكائنية صحيح وما يكون بالفاعل لا يصح فيه التزايد كالوجود وإنما قلنا إن التزايد فيه صحيح بدليل أن القوى إذا اعتمد على الجسم يعجز عن جذبها الضعيف ولو لم يصح التزايد فيها لما عجز وهذا من شبه البهيمية أيضا لانا نقول استحالة التزايد فيها بديهي ضروري لما بينا أنه عبارة عن الشغل والمحاذاة بمجسم آخر ويستحيل التزايد فيها وإنما يعجز الضعيف عن جذب الزيادة اعتمادات القوى للصحة التزايد فيها قوله ما يكون بالفاعل زائد عن الوجود لا يتجدد في حال البقاء والكائنية تتجدد في حال البقاء قلنا لا نسلم بأن ما يكون بالفاعل لا يتجدد في حال البقاء وأما ما ذكر من الوجوه الثلاثة فالها يرجع إلى القياس وأثبت العلة الجامعة بالدوران وقد أجبت عنه ، على أن الحسن والقبح معلل بكيفية تقترن بأول الحدوث وهو أن ينوئ إحداثه

لمصلحة الاحسان أو الطاعة أو دفع المضرة في الحسن وعكسها في القبيح وذلك متعذر حال البقاء بخلاف الكائنية وأما وقوعه خبراً عن زيد ابن عمر فلان الكلام والخبر وقت الحدوث لا يخلو عن طلب أو خبر عن شخص معين دون غيره فيتجدد غيره بعد تناقض فلا يصح ولأن التجدد في حال البقاء في الكلام مستحيل ، لان الصوت لا بقاء له ولا كذلك الجسم وبما ذكرنا خرج الجواب عن الثالث قوله لو كان التحرك بالفاعل لصح منه الترك بعد الاعتمادات قلنا هذا ينتقض بجميع المتولدات من الافعال قال خاتمة أهل الاصول علامة الدنيا أفضل المتكلمين من الآخرين والاولين ، تقي الملة والدين ناصر الاسلام والمسلمين العجالي قدس الله روحه في الجنة ونور بقناديل العفو والغفران ضريحه الامام الذي بلغ في تقرير قواعد العدل والتوحيد مبلغاً لم يبلغ اليه الاوائل والاواخر وقد سمح خاطره بدقائق لم تسمح بمثلها الخواطر ، وأكثر ما أذكره في مسائل الثلث الاول من خاتمة أبواب العدل من ملتقطات تصنيفه الكامل في الاستقصاء قال في آخر هذه المسئلة . ولقد صدق الشيخ أبو الحسين رحمه الله تعالى في مقالته : اني لو اقتصر على ذكر أدلتهم وعللهم لكفى الناظر فيها في العلم بأنها لا تثمر لنا فضلاً عن علم ، اترى قلوبهم تسكن ونفوسهم تطمئن عندها ثم قال تقي الآئمة العجالي رحمه الله فان هذه الحجج التي قنعوا بها في إثبات هذا الاصل العظيم ليس يصلح إيرادها عند ملاعب الصبيان في ترويح الخيال فكيف بمثل أصل هو أساس الاسلام وأكثر مسائل مذهبهم تنبنى على هذا الاصل فانهم جعلوا المعاني المقدورة إلى طريق

إثباتها أربعة وعشرين جنساً ، عشرة منها مشتركة في القدرة عليها بين قادر الذات وقادر القدرة ، خمسة منها أفعال الجوارح وهي الاكوان والاعتمادات والتأليفات والآلام والاصوات ، وخمسة منها أفعال القلوب وهي الاعتقادات والظنون والانظار والارادات والكراهات ، واما بقيتها فيختص بالقدرة عليها الله تعالى وهي الجواهر والالوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والقدرة والشهوة والنفرة والبقاء والموت عند أبي علي ، فانظر إلى هذا الاصل الذي لو أحيل فانه يحيل أصلهم للإسلام ويحيل من مذهبهم هذه الاقسام الكثيرة ثم صححوا هذا الاصل بهذه الامارات الضعيفة التي لا تثمر ظناً ولا خيالاً ، ولا تزيد الهداية الاعناداً وخيالاً ، عصمنا الله عن الضلال بحق محمد وآله خير آل ، والله الموفق انتهى بحروفه وبتمامه يتم المقام الثاني والحمد لله رب العالمين

ثم نرجع إلى تمام الكلام في القرآن الكريم بعد هذه الزيادة فنقول (الفصل الثاني) في الرد على الخصم في دعواه علمه بالذات وهو ماسمته منه ، وعلمه بتأويل المتشابهات وهو مما باغى عنه فهاتان دعوتان : الدعوى الاولى علمه بالذات والصفات وأن الله لا يعلم من ذلك غير ما يعلمه ، وهذه مسألة عظيمة قديمة قد طال الخوض فيها وكفيها مؤنة التطويل في تحرير الادلة في مبانيها ولكننا نشير الى نكتتين جليلتين إحداهما : أن قولنا فيها هو قول أمير المؤمنين وامام الراسخين علي بن أبي طالب عليه السلام كما قرره شراح كلامه في قوله (بها امتنع منها واليه احاكمها) أي امتنع من العقول بمعرفة العقول لعجزها عن إدراكه والاحاطة به ، واليه احاكمها أي اجعلها محكمة في ذلك لانه نزها

(م - ٩ - ترجيح)

منزلة الخصم المدعى والخصم لا يحكم الا حيث تتضح الحجة ويفتضح جاحدها
فلا يرضى لنفسه بدموى ما يعلم كل عاقل كذبه فيها (قلت) ولم يعلم لعلى عليه
السلام مخالف في الصدر الأول ولا انكر عليه كلامه هذا احد بل احتج به
الامام المؤيد بالله عليه السلام بحجة حمزة عليه السلام على ضعف كلام ابي هاشم
ذكره في شرحه للنهج في شرح قول علي عليه السلام وذكر ابن أبي الحديد مع اعتزلا
انه قول لم تزل فضلاء العقلاء عليه واحال بالدلة الى مواضعها ثم انشد لنفسه في
نصرة هذا القول ما يكفي ويشفي مثل قوله :

| | | | | |
|------------|-----------|--------|-----------|----------|
| تاه الانام | باسرهم | فاليوم | صاح القوم | عربد |
| تالله | ماموسى | ولا | عيسى | المسيح |
| عرفوا | ولا جبريل | وه | وإلى محل | القدس |
| من كنه | ذاتك | غير | از | لك واحد |
| عرفوا | إضافات | ونه | يا | والحقيقة |
| ورأوا | وجودا | دائما | يفنى | الزمان |
| | | | وليس | ينفد |

الى قوله :

| | | | | |
|--------|---------|------|-------|--------|
| فلتخسأ | الحكماء | عن | حرم | له |
| من انت | يارسطو | ومن | افلاط | قبلك |
| ومن | ابن | سينا | حين | قر |
| هل | انتم | إلا | الفرا | |
| فدنا | فحرق | نفسه | ولو | اهتدى |
| | | | رشد | لا بعد |

ومما قال في ذلك :

فيك يا أغلوطة الفكر تاه عقلي وانقضى صمري
فلحى الله الألى زعموا انك المعلوم بالنظر
كذبوا ان الذى زعموا خارج عن قوة البشر
سافرت فيك العقول فما ربحت الاغنا السفر
رجعت حسرى وما وقفت لا على عين ولا اثر

وله في هذا المعنى كل مقال قصيح، ومعنى صحيح، وذلك مبسوط في موضعه
من شرح كلام على عليه السلام وينبغى ان ينقل كلامه كله بحروفه لجودة
عبارته وغزارة علمه ولا نبيض هذه المسودة حتى نستوفى نقله إن شاء الله تعالى
ونذكر ما نقله الرازى عن الفلاسفة في الكلام في الالاهيات وقد نظمت
ذلك في نظمي في سر قل هو الله أحد والحمد لله وكفى بقول الخصم: ان
الله (تعالى عن ذلك علوا كبيرا) لا يعلم في نفسه الا ما يعلمون، شناعة فاحشة
يكفى في بطلانها سماعها ويفضى الى التعطيل وينبغى عليه امتناعها، وكفى بامير
المؤمنين سلفا وقدوة وإماما وحجة في هذه المشكلة كيف وقد نظرت العقول
حتى وقفت خاسئة ورجعت الابصار كرتين فانقلبت حاسرة ويطابق السمع
على ذلك قرآنا واخبارا وآثارا، وكفى قوله تعالى في ذلك (ولا يحيطون به علما)
والتطويل في الجليات يوم انها خفية، وجعدة لمعاندين وبه بعض المتكلمين
تشكك في انها جليلة وقد رأيت الاقتداء بالعلامة عبد الحميد بن أبي الحديد
في هذا المقام لا ثقافتصرت فيه على رسم آيات كنت قلتها في ذلك وهي هذه

لى فى القديم مقال غير منتكر سبحانه عن خيال الوهم والفكر
اجله ان تحيط للناظرين به ذاتا وابن قوى النظر والنظر
فالعلم قسمان تصديق ومعرفة تختص بالذات والتصديق بالخبر

القسم الاول بالعرفان متمم

مفعوله واحد في النحو والنظر

وههنا افترق العلمان ما وقف الا : نظار في ذا على عين ولا أثر

ولما علموا أوصافه جملا

من غير كيف ونفى النقص والصور

فان معرفة الموصوف جل عن الـ * إدراك بالفكر والتخييل بالبصر

والله يعرف قطعاً ذاته وسوا * ه ليس يعرف إلا الوصف بالنظر

فان يقرؤا بهذا فالمراد وإن * حادوا فقد وقعوا في أخفش النكر

هل جهاول لتجهيل العبيد أواد * دعوا لعرفانه في مقطع الفكر

الله أكبر هذا قاطع ولنا * عليه أكبر برهان من الزبر

تنزه الرب في الذكر المنزل أن * يحيط علما به خلق من البشر

تمدحاً لم يكن في الذكر مختلفا * قطعوا ولا غلطاً من وهم ذي نظر

فان يقولوا كلام الله مشتبهه * فأين قولهم في محكم السور

وكل مشتبه فالحكمات له * أم كما جاءنا في أصدق الخبر

وفي الحديث دلالات لنا ولنا * حديث موسى كلم الله والخضر

وفي كلام أمير المؤمنين لنا * هذا وحسبك برهاناً منتصر

وفي وصيته ابن المصطفى حسناً * دلائل لفقيه القلب معتبر

فلا تؤوله المعقول يمنع أن * يوصى بمشتبه خوفاً من الغرر

وعن وجوه الكراسى قد رواه لنا * عبد الحميد لشرح النهج ذي العبر

وجنح القول فيه بالقصائد أم * ثالاثين مسير الشمس والقمر

في شرح قول أمير المؤمنين بها ام * تناعها واليها الحكم في النظر
 تلك الالى حكمت بالمنع قد حكمت * بها الملائك أهل القرب والنذر
 والراسخون وأدنى من له أدب * وكل متضع لله منكسر
 فلا ترجع عليهم غير محتفل * شيوخ جبة إن جاروا فلا تجر
 والفرق كالصبح لا يخفى على أحد * واخبر تميز فليس الخبر كالخبر
 ولبعض الاصحاب في هذا المعنى آيات أجود من هذه ينبغي اثباتها هنا
 إن شاء الله تعالى وهذه الايات التي تقدمت الاشارة اليها في فضل قل هو
 الله أحد أو ردتها لما فيها من نفي التشبه وهي هذه :

في الواحد التوحيد في ذاته * والوصف والفعل لمن يفهم
 والصمد الغاية في مجده * وقصده في الامر إذ يعظم
 والملك في الاول والحمد في الا * ثاني تعالى الملك الاكرم
 والملك أصل والثنا غاية * ومنهما أسماءه تقسم
 والسبع فافهم قسمت فيهما * وفي الذي هو منهما يلزم
 يعني بالسبع السبع الثاني وهي الفاتحة لان ابتداءها بالحمد الذي هو الغاية
 المقصودة بخلق العالمين ولذلك ختم به الفصل يوم القيامة وبين الحمد (١) بكونه
 رب العالمين وهذه صفة العظيم وهي تقتضي التوحيد بظواهرها ثم يليها
 الرحمن الرحيم وهي أعظم صفات الحمد ولوازمه ولذلك كررها هنا مرتين
 وفي التسمية مرتين وجاء في كل مرة باسم المبالغة والالف واللام ثم ذكر
 رابعا صفة الملك باسمه الخاص به لأعظم الامور وهو يوم الدين وجاء فيه

(١) أي بين منشأ الحمد أنه مربّي العالمين وخالقهم اه مصححه

بقرائنين ليكون بمنزلة اثنين ولما كان يوماً عظيماً لم يذكره حين قدم ما
يؤنس أهل الخوف من سعة رحمة الله تعالى بتكرار هذين الاسمين
الشريفين وقد دل القرآن على أنه من مقتضى رحمته حيث قال تعالى (كتب
على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة) واتفقوا على صحة حديث المائة
الرحمة المؤخرة له وهو كالتفسير لهذه الآية ثم قال (يا لك نعبد) من لوازم
الملك (ويا لك نستعين) وذلك من لوازم الحمد ، وفيهما توحيد صريح وكذلك
سائر السور من لوازم الحمد إلى قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)
وهو من لوازم الملك الحق والعدل بين الخلق كما أوضحته في العواصم
ونهاية الامر: أن يكون ذلك من المتشابه الذي تفرد بعلم الحكمة فيه ونعرفها
نحن جملة وفيها الجمع بلافرق والتوحيد الأعظم (١) أراد بالجمع عرف الصوفية
في استغراق القلب بذكر الله تعالى ونسيان ما سواه حتى العمل والجزاء
وحتى نفس الذاكر وذكره والفرق ذكر شيء من ذلك وأدنى والتوحيد
هو توحيد العامة وهو التوحيد في الربوبية وهو لا اله الا الله ونعني به
الاحد وأعظم التوحيد وتوحيد الخاصة وهو التوحيد في النفع والضرر
والاستعانة مع التوحيد في الربوبية فلا يرجى ولا يخاف الا الله تعالى ولا
يستعان إلا به وقد جمعها قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) لكن في إياك
نعبد شيء من الفرق في ذكر العبادة والالتفات إليها وليس في الاحد شيء من
ذلك ، وأما إياك نستعين فإنه جمع مثل الصمد لأن الصمد هو السيد المقصود
في المهمات المتناهي المجد المعول عليه في كل أمر ، وأما التوحيد في الوجود فهو

(١) ننظر هذه العبارات الآتية بجمع حيث وجدت هكذا في نسختين أم مصححة

مجاز وتحقيقه بدعة قد ضلت بسببها الاتحادية فالله المستعان

وفيها الجمع بلا فرق والتوحيد أدناه والاعظم

وفيها أسماؤه كلها الـ حسنى وفيها اسمه الاعظم

وبعد ذا النفى لمسيراته لأنه الآخر والأقدم

وهو من الملك ومنه انتفا

أمثال في الكل لمن يعلم

وآخر السورة نفى لما يظن في التشبيه أو يوم

وفيه نفى النوع نصاً ونقلاً إلى المثل تعميماً لمن يلهم

أى في نفى الوالد والولد نفى المثل النوعى أى نفى أن يكون له أمثال منه

أو هو منها بالنص لأنه هو الذى ربما توهمه من له بعض تمييز ثم نفى المثل

المطلق للعموم لأنه اذا انتفى المثل من النوع الاول لم يتوهم أن له مثلاً من

عبده ومخلوقاته الا لمن لا تمييز له فلم يحتاج الى أكثر من نفىه بالمعمول

لأنه ضرورى في المعقول والله أعلم اهـ، ثم إن في هذا النفى للمثل النوعى

والمثل العام تأكيذاً لما تقدم في توحيديه في ذاته المستلزم توحيديه في عباده

وتوحيديه في صمديته المستلزم توحيديه في الاستعانة به وكان في ذلك كمال

الاتصال الموجب لحذف حرف المطف عند أهل المعانى وضاية التناسب

والبلاغة والحمد لله الذى هدانا لهذا

لم يستو الخلق في ذله (١)

كيف الاعز الأكرم الاعظم

(١) في جميع النسخ في ذله ويظهر لي في ذاته اهـ مصححه

مأتمة الا اللطف يحكيه والايما والصمت لنا أسلم
اعترف اليونان في كفرهم أن النهي في ذلك لاتعلم
أفاده الرازي قالوا سوى رجم ظنون لهم تهجم
هذا وهم في العجب والته في ليل دعاو كله مظلم
فكيف بالمسلم في هديه نور وهو بتقوى ربه ملجم
وعن على قال يابرها قولك في المجهول لا أعلم
لذلك كانت ثلثا كاملا للذكر هذا فاغتم المغتم (١)

ولبعض الاصحاب في هذا المعنى أبيات وهي هذه :

يا ضلة الغالين حين توهما ما لا يفوه به التقى المسلم
قالوا إله العرش ليس بعالم من ذاته والوصف مالم يعلموا
هذي مقالة من هوى في متلف وعليه ديجور الغواية مظلم
قالوا تقرر أن كل مكلف فعليه علم الذات فرض ملزم
وكذا الصفات فان يكونوا حصلوا ما كلفوه فما ذكرنا يلزم
إذلا يكون العلم غير مطابق لحقيقة الامر الذي هو يعلم
هذا وان لم يستطيعوا مابه قد كلفوا فالامر فيه أعظم
لرؤم تكليف المحال وبانتفا تكليفه نطق الكتاب المحكم
قلنا لقد شدتم بناء عاليها واهى الاصول فأسه متهدم
الفرض علم الله موجودا إلا هكأ واحدا ماغيره متقدم
حيأ قديراً عالماً متنزهها عما يقول مجوز ومجسم

(١) هكذا وجدت هذه الابيات في ثلاث نسخ خطية فلتنظر اه مصححه

لا علم كيف صفاته أو ذاته سبحانه أن يعتريه توهم
 واقرأ إذا ما شئت في طه تجد ما يقطع الشبهات عنك ويحسم
 نفى الاحاطة عن جميع الخلق بالر رحمن علما شأن ربي أعظم
 فاعرض كلامهم على القرآن فال قرآن في ذاتنا قض ما أبرموا
 لكنهم تركوا الكتاب لوهمهم فمشوا لتركهم التدبر أو عموا
 أنى يكون كعلمه سبحانه تخييطهم وله الشكوك تهدم
 شتان علم لا يحول وعلمهم علم يفارقهم اذا هم نوم
 أو غافلون وشبهة تغتاله والشك يفسده اذا يتوهم
 وانظر الى نهج البلاغة تلق ما يشفي الغليل والمخالف تفهم
 (وثانيهما) أذكر أوجز كلام عرفته في ذلك لفظاً وأبلغه على إيجازه
 معنى لتقرعين المتطلع الى ما حمل المخالفين على هذه الدعوى العظيمة فأقول:
 ان من أحسن من عبر عن هذه المسألة الكبرى شارح جمع الجوامع
 لكن النساخ غيروا بعض ألفاظه فشككت في بعض ألفاظه مع معرفة
 مراده فجعلت العبارة لي وزدت اليسير حيث تصح الزيادة وتجوز
 وتحسن ولم أظن في موضع لا يحل فيه الظن ويتوقف فيه على النقل فأقول:
 لا شك ان الله عز وجل حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها
 شيء في ذاتيتها وخصوصيتها قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع
 البصير) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقال تعالى
 (فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال تعالى حاكيا عن شبهة غيره
 سبحانه (تالله ان كسنا في ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين وما اصلنا

(الاجرمون) وفي قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين
 الرد على طوائف الباطنيين فاولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة وفي
 ترتيبها سر لطيف لانه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أوخيال من
 شبه أهل التشبيه فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه وقالت
 المعتزلة ان الخلق والرب مشتركون في جنس الذاتية وان التفرق انما
 حصل بالوصف الاخص لله تعالى لتشريع أو لغيره مما يوجب التمييز بعد الاشتراك
 وهذا باطل قطعاً للقطع بأن جنس الذاتية الاعم المسمى عند أهل المعقولات
 بالماهية وبالوجود المرسل والوجود المطلق مستحيل الثبوت في الخارج
 بالضرورة العقلية وبمعرفة هذا يزول كثير من خيالات أنواع المبتدعة وعلى
 الغلط فيه يترتب ضلال كثير نسأل الله العافية فاذا المشترك انما هو
 لفظ عام لا سوى وربما برعنه بعض أهل العقليات بالعرض العام والاشتراك
 فيه من جنس الاشتراك في اسم الشيء بل من جنس اشتراك المعدومات
 في اسم العدم، وزعم بعض المتكلمين ان الذوات كلها متساوية وأن امتياز
 بعضها عن بعض بصفات مخصوصة وامتياز ذات الله تعالى عن غيرها
 بصفات الالهية كوجوب الوجود قدماً ودواماً وتمام القدرة واحاطة العلم
 ونفوذ المشيئة والكمال المطلق الموجب لاستحقاق كل مدح وثناء والتنزيه
 من كل نقص وعيب وأشار صاحب الصحائف الى ان الخلاف بين المسلمين
 في هذه الاشياء لفظي وما هو ببعيد وذكر ابو علي التيمي تلميذ الغزالي في التذكرة
 انه لم يمنع من اثبات ماهية الرب الحقيقية الا بعض الفلاسفة ومنهم من أثبتها
 لانها من لوازم الوجود العيني ويستحيل دخول الوجود المرسل في قضية العقل

في الاعيان إذا تقرر هذا فاعلم أن المثبتين للماهية اتفقوا على أنه لا حد لها
ثم اختلفوا في مسئلتين المسئلة الاولى هل يصح العلم بها للبشر في الدنيا
بالنظر والاستدلال؟ فذهب فضلاء العقلاء منهم امامهم وإمام المسلمين أمير
المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في الجنة ومن لا يأتي عليه العد
من الآل والاولياء والعارفين إلى امتناع ذلك وهو قول القاضي أبي بكر
الباقلاني وإمام الحرمين الجويني والغزالي والكنيا الهراسي في مشيخة
جلة وحكاة الرازي عن جمهور المحققين قال وكلام الصوفية يشعربه وبهذا قال
الجنيد والله ما عرف الله إلا الله * وذكر الطرطوسي في الرد على إرسطاطاليس
أن الحارث المحاسني قال لا يمكن أن تكون معلومة للخلق وحكوا
عن الشافعي أنه قال من اتهمض لطلب مدبره فاتهى إلى موجود
ينتهى اليه فكره فهو مشبه ، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو
معطل وإن اطمأن الى موجوده واعترف بالعجز عن إدراكه
فهو مصدق وهذا معنى قول الصديق الاكبر المعجز عن درك الادراك إدراك
وقد قيل: حقيقة المرء قطعا ليس يدركها * فكيف ماهية الجبار في القدم
وذهبت المعتزلة أو كثير منهم إلى أنها معلومة واحتجوا بوجهين (أحدهما)
أنا مكلفون بمعرفة واحدانيته وذلك يتوقف على معرفة حقيقته فلم تكن
واجبة شرعا ممكنة عقلا لكان ذلك تكليفا بما لا يطاق وهذا لا يجوز على
الله تعالى، والجواب أن الملازمة ممنوعة وإنما كلفنا بمعرفة الربوبية ولا سيما
الحسنى ونفى الثاني ونفى التشبيه والظلم وكل نقص وهذه كلها نعمت
حرية عن معرفة الماهية (وثانيهما) قالوا إنا نحكم على ذات الله تعالى بهذه

الاحكام الثبوتية والسلبية والحكم على الشيء مسبوق بمعرفة المحكوم عليه والجواب أن هذا ضعيف لانهم إن عنوانا أنه مسبوق بمعرفته من بعض الوجوه إجمالا فسلم ولا يضر تسليمه وإن عنوانا بمعرفته على التفصيل من جميع الوجوه فمنوع وكلامهم مجرد دعوى، والدليل عليهم في هذا المقام، فإن أبدوه وجب علينا تقضيه وإن لم يبدوه لم يلزمنا شيء من مجرد الدعوى بغير حجة ولا هدى ولا كتاب منير وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (ولا يحيطون به علما) ولذا لما قال فرعون وما رب العالمين أجابه الحكيم عليه السلام بالثمت حيث قال رب السموات والارض لتعذر الجواب بالماهية فعجب فرعون وقومه من عدوله عن الجواب المطابق لسؤاله ولم يعلم لغباوته أنه المخطئ في السؤال عن الماهية وأن ما أتى به الحكيم في الجواب أقصى ما يمكن والله سبحانه الاسماء الحسنى وحظنا من المعرفة الايمان بها على ما يريد الله سبحانه وتعالى ولولا رأفته ولطفه ومعرفته ورحمته وبره وعظم فضله وواسع احسانه ما كنا اهلا لمعرفة شيء مما عرفنا به وكرمنا وشرفنا بسببه وكيف واحاطة البشر بمن تجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صاعقا وقد تقدم كلام على عليه السلام في جوابه على الذي قال له صف لنا ربنا وغضبه من ذلك ونهيه للرجل ان يسأل عن ذلك احدا سواه (المسئلة الثانية) اختلف المانعون من ذلك في الدنيا هل يطرد المنع في الدنيا والآخرة أو يختص ذلك بدار الدنيا فتهم من طرد المنع ومنهم من خصه بدار الدنيا ومنهم من توقف ولا حاجة بنا الآن الى التطويل بالخوض في أحكام الآخرة انتهى (الدعوى الثانية) دعوى العلم بتأويل التشابهات وهو مبني على ذكر

الآية الشريفة الواردة في ذلك والكلام عليها فلنبداً بذلك فنقول قال تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب) فمن شرط الايمان وعزائمه الايمان بمتشابه القرآن فمن علم معناه آمن به على اليقين ومن لم يعلمه آمن به على الجملة ، وقد اختلف الناس اختلافاً كثيراً في الراسخين هل يعلمون التأويل مع الله أم لا وينبغي من تلى كتاب الله الشريف أن يؤثر هذه الآية الشريفة بزيادة في التدبر فانها قاعدة عظيمة للكلام في تفسير كتاب الله تعالى وقد ثبت في امالى السيد الامام أبي طالب وفي نهج البلاغة عن علي عليه السلام ان الراسخين لا يعلمون ذلك كما سيأتي بحروفه في الأدلة على ذلك وثبت ذلك أيضاً عن زيد بن علي وعن القاسم والهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين وعن ولده المرتضى محمد بن يحيى عليهم السلام وسيأتي كلام واحد منهم بحروفه وثبت ذلك أيضاً عن الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة رحمه الله ذكره في كتاب الحاوي في اصول الفقه في الكلام على المؤول في اوائل المجلد الثاني واحتج عليه كما سيأتي بيانه فهو لاء أعلام أئمة العترة الاكابر من الاول والآخر ولتذكر بعد قولهما من وافقهما على ذلك فنقول قال البغوي في تفسيره وذهب الاكثرون الى ان الواو للاستئناف وتم الكلام عند قوله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير ورواية عن طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائي والقرطبي والبخاري

ويصدق ذلك قراءة عبد الله (وإن تأويله إلا عند الله) وفي حرف أبي بن كعب ويقول الراسخون قال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية انتهى مختصراً وقال ابن تيمية في القاعدة الخامسة من جواب المسألة التدمرية انا نعلم ما أخبرنا الله به من وجه دون وجه لقوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) وهذا يعم المحكم والمتشابه وجمهور الأئمة على أن الوقف عند قوله إلا الله وهو المأثور عن أبي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وعن مجاهد وطائفة أن الراسخين يعلمون تأويله ولا منافاة بين القولين عند أهل التحقيق فالتأويل على (ثلاثة وجوه) الأول كلام الأصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل (الثاني) التفسير وهو اصطلاح المفسرين كما أن الأول اصطلاح الأصوليين ومجاهد إمام التفسير عند الثوري والشافعي والبخاري وغيرهم (الثالث) الحقيقة التي يؤول إليها الكلام لقوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيمة كما قال في قصة يوسف لما سجد له أبواه وأخوته (قال هذا تأويل رؤياي من قبل) ومنه قول عائشة كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي تأويل القرآن (تعني قوله) فسبح بحمد ربك واستغفره وقول سفيان ابن عيينة السنة هي تأويل الأمر والنهي فان نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر وهذا يقول أبو عبيد وغيره والفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة كما

ذكر واذلك في تفسير اشتمال الصمائيين (١): الفقهاء يعلمون نفس ما امر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الامر والنهي لابد من معرفته بخلاف الخبر اذا عرف ذلك فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة بما لها من الاسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة وتأويل ما أخبر به من الوعد والوعيد هو نفس الثواب والعقاب وليس شئ منه مثل المسميات باسمائه في الدنيا فكيف بمعاني اسماء الله وصفاته، لكن الاخبار عن الغائب لا يفهم ان لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع الفارق المميز وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا أخبرنا الله تعالى بالغيب الذي اختص به من الدارين وما فيهما علمنا معنى ذلك الذي اريد منا فهمه وفسرناه واما نفس الحقيقة المخبر عنها التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ولذلك لما سئل مالك وغيره من السلف عن تأويل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة ويمثل هذا قال ربيعة شيخ مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وعلى الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا الايمان ومثل هذا

(١) اشتمال الصماء أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وطائفة الايسر ثم يرد ثانية من خلفه على يده اليمنى وطائفة الايمن فيغطيها جميعا أو الاشتمال بشوب واحد يبدو منه فرجه اه مصححه من القاموس ويظهر أن عمل النهي في الحديث عن المعنى الثاني كما يحتمل الاول ايضا على هذه

يوجد كثيرا في كلام السلف في نفي كيفية علم العباد بصفات الله وفي الحديث (لا أحصى ثناء عليك) رواه مسلم ، وفي المسند وصحيح أبي حاتم (واستأثرت به في علم الغيب عندك) فمعاني هذه الاسماء التي استأثر الله بها لا يعلمها سواه مما يوضح ذلك ان الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه وفي آية أن بعضه محكم وبعضه متشابه فالاحكام الذي يعمله هو الاتفاق وهو تمييز الصدق من الكذب في اخباره والغنى من الرشاد في أوامره والتشابه الذي يعمله ضد الاختلاف المنفى عنه بقوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهو الاختلاف المذكور في قوله (إنكم لنرى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) فالتشابه هنا يماثل الكلام ويناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فالاحكام العام في معنى التشابه العام بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص فانهما متنافيان والتشابه الخاص مشابهة الشيء لغيره من وجه ومخالفته من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك . والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر يعني على من عرف هذا الفصل . وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدى إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبهما عليه . ومنهم من يهتدى له فيكون محكما في حقه فالتشابه حينئذ يكون من الامور الاضافية فاذا تمسك النصرا في بقوله (إننا نحن نزلنا الذكر) ونحوه على تعدد الالهة كان الحكم قوله (والهكم آله واحد) ونحو ذلك

مما لا يحتمل الالمعني واحدا يزبل ما هنالك من الاشتباه . قلت ترك الشيخ والامام وجها رابعا من وجوه التأويل وهو المراد في الآية وذلك هو وجه الحكمة فيما لا تعرفه العقول مثل خلق أهل النار وعذابهم وترجيحهم على العفو عنهم مع ترجيحهم للعفو بشرائمه وأوامره لبعاده وقد ذكرت كل طائفة وجها في ذلك معينا واعترضهم الباقيون . وقد تفصيت ما قيل في ذلك وما يراد عليه في العواصم والجواب الجلي أصحابها وأقواها كما اختاره الزمخشري وغيره من محققى خصوم أهل السنة والدليل على أنه يسمى تأويلا قوله تعالى في الحكاية عن الخضر (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) ثم أخبره بوجه الحكمة في ذلك الذي استنكره موسى ولم يحتمله عقله فكان التشابه فعلا لا قولاً والتأويل خبرا عن الحكمة عكس ما ذكره في الوجه الثالث من تأويل الخبر بالفعل . وإنما قامت إن هذا هو المراد في الآية لأن الله سبحانه قد وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغائهم تأويله وذمهم بذلك وهم لا يبتغون علم عاقبة القرآن وما يؤول اليه على ما فسرهُ الشيخ فهم لا يبتغون الحنة ولا النار ولا القيامة ولا ذات الرب سبحانه وتعالى وإنما يستقبحون الظواهر بعقولهم فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها وكل منهم ينفرد بمعنى ويأتى بمجرد احتمال والكل من ذلك مجمل يستندوا فيه إلى شئ من السمع وقد يكون مخالفا للمعلوم من الشرع لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم من المسلمين تلقىها بالقبول ولم يخبر صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من أصحابه بها بتأويل ولا نبه على ذلك مع ما في المسلمين من البله المحتاجين إلى البيان الذي لا يجوز تأخيرهُ عن وقت الحاجة . وقد ثبت أن

(م ١٠٠٠ ترجيح)

عدي بن حاتم ربط خيطين أبيض وأسود فقال له عليه السلام (إنك لعريض القفا) فكيف بغيره ممن هو دونه وكثير من النساء والماليك ونحوهم . فينبغي أن أشير الى نكت نافعة من حجج الفريقين * أما القائلون بأن الراسخين يعلمون التأويل فحجتهم أن الله سبحانه لا يخاطب المكلفين بما لا يفهمون ، لأن ذلك عبث والله سبحانه يتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولا أعلم لهم حجة غيرها . والجواب عن هذه الحجة من وجوه : الوجه الاول أن فائدة كلام الله تعالى لا تنحصر في مجرد فهم معناه المعين على التفصيل والا لزم أن يكون عبثاً ولا طريق الى القطع بذلك لمن اعتقده الا أنه طلب وجهاً فلم يجده وليس عدم الوجدان عند الطلب في علم الطالب يدل على عدم وجود المطلوب في علم الله تعالى اذ من المعلومات الضرورية أن الانسان قد يطلب الشيء المدة الطويلة ولا يجده ثم يجده هو أو يجده غيره . وفي كلام علي عليه السلام في وصيته الحسن عليهما السلام دليل على هذا حيث قال (فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ثم يضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك انتهى) هذا على الاجمال وعلى جهة التفصيل نقول تلخيص ذلك أن كلام الله سبحانه وتعالى منقسم الى قسمين : القسم الاول ما فيه تكليف للعباد وطلب منهم بالامر والنواهي للافعال والتروك فهذا هو الذي يسمى خطاباً ويجب أن يكون لهم الى معرفته طريق علمية أو ظنية ويكفي أن يعرف ذلك بعضهم كالمتجهدين بالاجماع وهذا القسم من كلام الله تعالى هو الذي يعلم أنه سمي خطاباً للمكلفين . والقسم الثاني من كلام الله مالم يكن فيه طلب

أمر منهم مثل فوائح السور وما شاكلها فلا دليل على أنه يسمى خطاباً للمكلفين ولا أن المقصود منه فهم معناه على التعيين ولذلك اختار الإمام يحيى ابن حمزة في مثل الفوائح جواز جهل الراسخين بمعناها، وقفت عليه في الحاوي للإمام يحيى عليه السلام، توضيحه أنه لم يرد في آية قط يأيتها الذين آمنوا ألم ونحو ذلك ولا ورد في تضاعيف الكلام للمفهوم. ولا ورد في لسان العرب ولا يحسن من الواحد منا أن يخاطب صاحبه بنحو ذلك ويطلب منه فهم ما ضمنه فيه والعلة عدم التمكن من معرفة ما اراد بذلك وهي مطردة فينا وفي حق الله تعالى بل هي في حق الله بعد منه لأن قرآن الرؤية قد تنقيد الظن بالإشارة ولو أمكن في كلام الله تعالى فهم ذلك أمكن في حقنا أولى وأحرى، والمعلوم عدم إمكانه في حقنا وقولهم أنه خطاب لنا فيجب أن يكون مفهوم المعنى لنا احتجاج بمجرد الدعوى ونتيجته معلومة البطلان بالوجدان وأولى منه وأصح عند أهل الانصاف أن نقول المتشابه غير مفهوم المعنى لنا وهذه ضرورة وجدانية فيجب أن نكون غير مخاطبين به، بيان المقدمة الضرورية أن فوائح السور متشابهة فلو ادعينا فهم تفسيرها وجب أن يكون إليه طريق لكن لا طريق إليه، لأن الطرق في ذلك منحصرة في العقل والكتاب والسنة الصحيحة والاجماع والقياس واللغة، ومعلوم أنه لا شيء من ذلك يدل على تفسير الفوائح، سلمنا أن ذلك يسمى خطاباً لنا في اللغة بمجرد وروده في كتابنا فيجب حينئذ أن يكون خطاباً منتقياً إلى ما المراد منا فهمه على التفصيل كالحكم وعلى الإجمال كالمتشابه، مثال ذلك ما ثبت في حديث ابن مسعود من قوله صلى الله عليه

وآله وسلم) أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وأنزلته في كتابك أو علمته احدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فهذا القسم من الاسماء التي استأثر الله بها في علم الغيب مما يجب الايمان به على الاجمال ولا يمكن فهم معاني تلك الاسماء على التفصيل بالضرورة مع النص على ذكرها في كلام رسولنا الذي تعبدنا بفهم كلامه وخطابه صلى الله عليه وآله وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم * (الوجه الثاني) انهم ايمان يوجبوا ان يعلم تاويله جميع المكلفين المخاطبين وهذا باطل ولا قائل به أو يقولوا انه يكفي ان يعلمه بعضهم وهم الراسخون او بعض الراسخين وعلى هذا فيلزمهم تجوز ان يكون العلم بتاويله من خواص بعض الراسخين من الانبياء والملائكة وافراد من الائمة فان الله سبحانه يخصص برحمته من يشاء، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء، فاما ان كل خائض في علم العربية والمعاني او جامع لشرائط الاجتهاد فانه يجب ان يعلم جميع تاويل المتشابه فدليلهم على تسليم صحته لا يقتضي هذا * (الوجه الثالث) انهم اما ان يمنعوا الايمان الجلي او يجوزوه فان منعه لزمهم ان يقبح من عوام المسلمين بل من العجم الايمان الجلي بالمتشابه بل بالمحكم بل يلزمهم ان لا يصح العلم بذات الله سبحانه وكثير من صفاته لا ممتنع تصور العقل لذلك على التفصيل وان جوزوا الايمان الجلي بطل استدلالهم بذلك فهذا ما حضرني لهم وعليهم في هذه الحجة على الانصاف والله عند لسان كل قائل ونيتته (الوجه الرابع) ان المتأولين انما يعينون وجوه التاويل بالظن أو الاحتمال فاما الاحتمال فلا يسمى علما ألينة لاحقيقة ولا مجازا والظن فقد يسمى علما مجازا ولكنه هنا ممنوع لان العلم المضاف الى الله تعالى في الآية

لا يجوز فيه الاحقية وهو بعينه هو المضاف عند الخصم الى المتاولين بالظن أو الاحتمال ولا يجوز في اللفظة الواحدة ان يراد بها كلا معنيها على الصحيح ولا يقوم على خلاف ذلك دليل من اللغة ألينة على ان ابا هاشم قال انه محال عقلا ومجرد احتمال ذلك عقلا أو لغة ليس بدليل قطعا (الوجه الخامس) قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس الآية) دليل على ان الذين في قلوبهم زيغ هم المرتابون في التشابه الذين قبحو اظاهره ولم يكفهم في محسينه العلم الجلي لحكمة الله تعالى وقوله تعالى (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء) دليل على اكتفاء الراسخين بالدليل الجلي لانه ليس في هذا الجواب وجه تفصيلي في حسن النسخ وقد بسطت هذا المعنى في العواصم فليراجع فيه من مسئلة الارادة (الوجه السادس) ما اخرجه الحاكم في كتاب الايمان من المستدرک عن ابن عمر ان قال (لقد عشنا برهة من دهرنا وان احدا يوثق الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي ان يوقف عنده فيها كما تعلمون اتم القرآن ثم قال لقد رأيت رجلا لا يقرأ احدهم القرآن فيقرأ ما بين قائحة الكتاب الى خاتمة لا يدري ما امره ولا ما ينبغي ان يوقف عنده ينثره نثر الدقل) قال الحاكم صحيح على شرط البخاري ومسلم ولا اعرف له علة والحجة منه فيما ذكر ما يوقف عنده والخصم يدعي قبح الخطاب وفي النهاية الدقل ردى التمر ويابسه وقال ما ليس له اسم خاص فيراه ليبسه وردائته لا يجتمع ويكون مشورا * واما القائلون بان الراسخين لا يعلمون التأويل فالذى حضرني من ادلتهم اثنتان وعشرون دليلا (الدليل الاول) الفطرة العقلية التي فطر الله الناس عليها وذلك ان الانسان

يعلم احوال نفسه علما وجدانيا ضرورياً اوليا لا يشك فيه فيعلم عافيته والمه وفرحه وغمه وعلمه وجهله وسائر احواله أو أكثرها ويجد فرقاً ضرورياً بينا لا تمحوه الشبهة ولا تعتريه الشكوك ومن ذلك علمنا بمجارات العقول ومواقفها ومالنا الى معرفته طريق دون ما ليس لنا الى معرفته طريق ونجد فرقاً ضرورياً بين فهم معنى قوله تعالى (إذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) وامثالها وبين قوله تعالى: ألم وتلخيص ذلك ان معرفة معنى ألم وامثالها ما ان يكون بطريق اولاً، فان لم يكن بطريق لم يصح اجماعاً وإن كان بطريق فاما ان يكون عقلياً اولاً لا يجوز ان يكون عقلياً وفقاً اذ لا رابطة بين العقل وبين معاني الحروف وان لم يكن عقلياً فاما ان يكون سمعياً اولاً لا يجوز ان يكون سمعياً لان السمع هنا ليس الا القرآن والسنة ولم يحتج المقرون لهذه الحروف بهما ولا نقلوا ما قالوه فيها عنهما الا القول بانها اسماء الله او اشارة الى اسماء الله فقد ورد فيه شيء لم يبلغ مرتبة الصحة المتفق عليها وان كان الحاكم قد خرج بعض ذلك ولكن على تسليم صحة ذلك فلا بد من الاجمال ببطلان التركيب فيها ولا بد منه في الكلام المفيد باجماع أهل العربية فانك لو قلت زيد. عمرو. بكر. خالد. لكانت اسماء مفهومة في نفسها لكنه لا يكون خطاباً مفيداً بل ولا يسمى كلاماً عند النحاة

فلم يبق بعد ذلك ما يستند اليه الا اللغة العربية وليس في كتب اللغة شيء من ذلك اصلاً ألبتة ولا ادعى المخالف وجود دليل صحيح في ذلك من أنواع الأدلة الثلاثة المتقدمة العقلية والشرعية واللغوية والقياس هنا لا يصح

كما لا يصح في كثير من المعروفات كاعداد الركعات فالمجهول أولى لعدم صحته * وأما حديث معقل بن يسار عنه صلى الله عليه وآله وسلم (اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله وحرّموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم فردوه الى الله والى أولى العلم من بعدى وليسعكم القرآن وما فيه من البيان) قال في سلاح المؤمن رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد والجواب عنه من وجوه (الاول) عدم الصحة بمجرد تقليده حتى يبحث عنه (الثاني) أنه معارض بحديث جندب عنه صلى الله عليه وآله وسلم (فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه) رواه البخارى ومسلم والنسائي وفي حديث عمرو (ما لم تعرفوه فكلوه الى عالمه) رواه الحاكم ابن المدائني واحمد والفضل (الثالث) أنه في خطاب العامة قد ردّهم الى أهل العلم والمحكم عند العلماء قد يتشابه على العامة ورجوعهم حينئذ إجماع. وقد ثبت أن التشابه أمر نسبي ولذا جاء في حديث المتشابهات أنه لا يعلمها كثير من الناس. فاما ما تشابه على أولى العلم بل على الراسخين فلا يرد اليهم بل الى الله وحده، يوضحه حديث جندب وحديث عمر كما تقدم في الوجه الثاني (الرابع) أنه قد دل على هذا لانه قسم الرد الى الله واليهم فثبت أن الردود الى الله ما لم يعلموه لانه لا معنى لرد متشابه القرآن الى الله ولا الايمان الجلى فان الرد المعتاد الى الله هو الرد الى كتابه فاما رد كتابه اليه فلا يكون الا الوقف والايمان الجلى. ولذلك امر فيه بالاكتفاء ببيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وأما دعوى قرينة مطلقة تدل على تأويل الحروف المقطعة ليست من قبيل شيء من الأدلة فإنها ممنوعة مثل تفسير الباطنية لانه مثل

دعوى دليل مطلق ليس هو عقلى ولا سمعى ولا لغوى وهذا يرجع الى
تجويز وجود الجنس مع عدم جميع أنواعه مثل حيوان ليس بناطق
ولا اعجمى ولا ارضى ولا بحرى ولا سمائى وذلك محال عند الجميع ولو قبل
مثل ذلك قبل قول ابن عربى الطائى صاحب كتاب الفصوص من أن
الحروف أمة من الامم مبعوث اليها رسول منها لدليل جملى ويمتنع صحة
الدليل الجملى مع امتناع التعيين كما يمتنع اثبات الجنس مع امتناع الانواع
كلها وهو المسمى بالوجود المرسل وهو أحد المحالات والمنصف يجد من
نفسه الجهل بمعنى هذه الحروف الذى أراد الله على التعيين وفقد الطرق
المفيدة لذلك، وأنت إذا تأملت كلام الزمخشري وغيره فى تفسير الفوائد
وعرضته على الادلة المعينة وطلبت تعيين مستنده من العقل أو من القرآن
أو من الحديث أو من الاجماع اتضح لك أن كل واحد منها برىء منه ومن
كان عنده فى ذلك طريق صحيح فليمن بها مأجورا فان طبع جميع المكلفين
محبول على محبة العلم وكرهية الجهل ولا رغبة لنا فى جهل شئء والمنة لمن دل
على معرفة وأخرج من جهالة ﴿ الدليل الثانى ﴾ أن المتأول بتأويل
معين اما أن يقطع على أن تأويله ذلك هو مراد الله تعالى ويقطع ببطلان كل تأويل
سواه فهذا الاقائل به ولو قال به أحد ما ساعده الدليل لانه من قبيل الاستدلال
بعدم الوجدان فى نفس الطالب على عدم وجود المطلوب فى علم الله تعالى
وقد مر إبطاله، يوضحه أن المتأول قد يتأول الآية على وجه ثم يتفطن بعد
ذلك لما هو أقوى عنده . واما أن لا يقطع المتأول بصحة تأويله وبطلان
ماعداه فاما أن يكون تجويزا مستوى الطرفين أو ظنا راجعا أما التجويز

فليس من العلم في شيء وهو محض الجهل اذ لا معنى للجهل الا احتمال أحد النقيضين من غير ترجيح أو نحوه فاعتقاد أنه علم ولا سيما في تفسير كلام الله تعالى والاطلاع على مراده غاية الغرور وأما إن كان ظنا راجحا فلا ثمره له في غير العمليات . ثم لا يخلو الاعتماد عليه والخبر عن مراد الله به من كراهة أو تحريم اعموم النواهي عن اتباع الظن وعموم قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) وما سياتي ذكره من الاحاديث الواردة في تحريم التفسير بالرأي فهذان الوجهان عقليان ثم إنه يلزم من قولهم دعوى التعبد بذلك وتصويب الجمع وفي أقوال المفسرين ما لا يصح جمعه لتناقضه كالقول بأن الم الآلف اسم الله واللام جبريل والميم محمد . والقول بأنها كلها أسماء الله ، وأيضا لو ثبت أنها كلها أسماء عادالا لشكال بنفسه لعدم ثبوت النسبة الخبرية فيها فانا مع معرفتنا لاسمائنا لا نستفيد بذكرها مجردة عن التركيب الموجب للاعراب والمعاني ويلزمهم على التصويب القطع بتصويب النقيضين كتسمية الله تعالى بتلك الحروف وتصويب من قال ليست أسماء الله تعالى فليزيدوا القطع بتصويب من توقف فانه أولى وأحرى والله أعلم (الوجه الثالث) ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) وفي رواية أخرى (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن ورواه الذهبي في اللبزان في ترجمة أبي سهل الهيثم بن جميل أحد شيوخ أحمد بن حنبل والذهبي قال الذهبي أبو الوليد بن برد حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا أبو عوانة عن عبد الأعلى عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) اورده فيما انكر من حديث الهيثم وقال بعده قال الدار قطن ثقة حافظ وقال المجلي ثقة صاحب سنة وقال احمد بن حنبل ثقة وقال ابن عدى ليس بالحافظ يغلط على الثقات وارجوانه لا يعتمد ، وعن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ) رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي هذا حديث غريب ، واما تصريح بعض الصحابة بالتفسير بالرأى وعدم انكار الجماعة عليه كقول ابى بكر في الكلاله اقول فيها برأى فذلك في العمليات ولا نزاع فيها ولو سلم اجماع في غير العمليات فظني سكوني لا ينفع في الفروع ولا يقدح بمثله من يعرف معناه ، والحديثان اقوى من مثل ذلك ولا ينهض معارضهما لبته الا للتفسير بالنقل الصحيح من الحديث واللغة فالظاهر الاجماع على جوازه وان كان ظنيا ويبقى التفسير بالرأى المحض المنصوص في الحديث بتحريمه مع ظواهر القرآن وشهرة الخلاف فيه والله اعلم (الوجه الرابع) ما رواه السيد الامام الناطق بالحق ابو طالب في اماليه من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو صريح في هذا المعنى لا يمكن تاويله قال السيد أخبرنا أبي رحمه الله تعالى قال أخبرنا ابو محمد ابن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سلام قال أخبرنا ابى قال حدثنا سليمان قال حدثنا علي بن الخطاب الخثعمي قال حدثنا احمد بن محمد الانصارى عن بشير عن زيد بن اسلم عن علي عليه السلام انه قال في صفة الراسخين في العلم لمن ساله ان يعصف له الله عز وجل في آخر كلامه عليه السلام ما لفظه (اعلم ايها السائل ان

الراسخين في العلم هم الذين اعيامهم عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيوب، الاقرار بحمل ما جهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا آمنا به كل من عند ربنا فمدح الله سبحانه وتعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لا يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا فاقصر على ذلك انتهى رواه السيد ابو طالب ولم يتعقب عليه بتاويل كماله عادته فيما يخالف مذاهب اهل البيت عليهم السلام وهو من أنفس ما ورد في هذا الباب واحسنه لصدوره عن امام الراسخين في العلم والخصوص من الله تعالى بزيادة في الفهم، قال زيد بن علي عليه السلام في كتاب المجاز من رواية ابي عبد الله جعفر بن محمد بن هرون المقرئ ما لفظه : والقرآن على أربعة أوجه حلال، وحرام لا يتبع الناس جهلته، وتفسير يعلمه العلماء، وعربية يعرفها العرب، وتاويله لا يعلمه الا الله تعالى وقال في مواضع أخرى والمتشابهات يشتهر علم تاويلها على اكثر العباد ويلتبس من قبلها اهل الزينة ويقول الراسخون في العلم آمنا به بما علمنا وما لم يعلم تأويله لنا فعلمه عند ربنا وقال القاسم بن ابراهيم في كتابه النسخ والمنسوخ وفي ما نزل الله يا بني من وحيه، بعد الذي بقي فيه من امره ونهيه متشابه باطن خفي لا يبين منه شيء لنا جعله الله متشابهها وليس يعلمه احد غير الله وهذا نص جلي على المراد والله الحمد وقال الهادي الى الحق عليه السلام في جواب استماعيل بن اسحق بن ابراهيم عن المسائل التي سألته عنها بنجران ما لفظه : حم عيسق حروف تولى الله علمها لم يبينها لاحد من خلقه اذ ليس فيها امر ونهي ولا فرض ولا امر تعبد به عباده فيحتاجون الى علمه ومعرفة وقال المرتضى بن الهادي عليه السلام في جواب المسائل التي سئل عنها واما متشابه

الآيات من الكتاب فلا يكون ابدا الامتسابها كما جعله رب الارباب فليس
يحيط غيره بعلمه ولا يكلف احد العلم به ولا يكلف العلم بانه من عند ربه كما قال
سبحانه وتعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) انتهى
ما ذكره أئمتنا بجر وفه واما من ذهب الى غير هذا المذهب من الزيدية فلا عراضهم
عن كتب أئمتهم الموجودة بين اظهريهم وإقبالهم على كتب غيرهم فالله المستعان
(الوجه الخامس) ان موسى عليه السلام جهل ما علمه الخضر عليه السلام من
تأويل فعله هذا وهما معا بشر متقاربان في العلم متماثلان في الجسم فكيف مع
هذا يجب ان تكون معرفة تأويل افعال الله تعالى ممكنة لجميع المكلفين
وتأويل كلامه مقدورا لجميع المجتهدين مع ان التأويل هو معرفة وجود
الحكمة في التشابه على ما سيأتي بيانه ووجوه حكمة الله تعالى مادتها من محيط
علمه وتامات كلماته التي نص الله سبحانه في كتابه على ان البحر لو عمده
سبعة ابحر لم يكفها مدادا ولم يحصها نقادا (الوجه السادس) ان الملائكة
عليهم السلام ما عرفوا حكمة الله تعالى على التعيين في خلق المفسدين
في الارض ولذلك سألوا ربهم جل جلاله عن ذلك فلم يخبرهم به على التعمين
وردهم الى الجملة التي كانوا لها معتقدين وبها مكتفين قال سبحانه (اني اعلم
ما لا تعلمون) فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا لا علم لنا
الاما علمتنا (الوجه السابع) ان في هذه الآية بيانا شافيا وتعليلًا كافيا
ولذلك أنزلها الله تعالى فرقانا بينا بين الحكمات والتشابهات واما
الحكمات اللواتي هن للكتاب امهات فمن تأولها وجعلها من التشابه فا

قدرها حق قدرها ، ولا قام بواجب شكرها ، ومن أجازها من جوز التأويل
بغير دليل عرف أن الله تعالى قد وُصف فيها الذين في قلوبهم الزين بصفتين
ووسمهم بسمتين احدهما ابتغاء الفتنة وثانيهما ابتغاء التأويل فثبت تحريمهم
فكيف نجعل التأويل الذي دلت الآية على تحريمه واجبا والمتاويل الذي
دلت الآية على ذمه ممدوحا يؤيد ذلك (الوجه الثامن) ومن ذلك انه سبحانه
لما ذم من ابتغى التأويل علل ذلك بعلة واضحة وذلك قرله تعالى (وما يعلم
تأويله الا الله) وذلك لأن طلب العلم لما كان مأمورا به وقد قال تعالى «وقل
رب زدني علما» وكلا ذمه سبحانه لمن ابتغى التأويل كالمخالف بذلك بين ان
العلة في ذم طالب هذا العلم كونه مما لا يعلمه الا الله وطالب ما لا يدركه
غير محمود ثم بين سبحانه حال الراسخين في العلم في هذا المقام وان حالهم
فيه حال التسليم والايمان والخضوع والاذعان فلو كان التأويل من علوم
الراسخين لما ذم من ابتغاه في آية من الفرقان بين المحكم والمتشابه من القرآن
وفيما وصف به الراسخين من العجز عن ذلك تسلية لاهل الحرص على
طلب العلوم ولذلك لم يجب الملائكة الى بيان ما سألوه من هذا الجنس
وسد الباب وحسم المادة ويؤيد ذلك أن السابق الى الفهم ان الراسخين مبتدا
وخبره يقولون آمنا به والقول بان آخر الكلام قوله والراسخون في العلم
وأن قوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحالهم أي هم يقولون أو هؤلاء
يقولون أو قائلين على الحال مستلزم اضمارا أو تجوزا أو مخالفة لظاهر وذلك
لا يصح لغير موجب ويقوى ذلك ان قولهم كل من عند ربنا مشعر بعجزهم عن
ادراك تأويل المتشابه مشير اليه من حيث انه كالتعليل للايمان بالمتشابه وان
الوجه فيه هو كونه من عند الله ليس الا وهذا منهم كالتمثيل له بالحكم والقياس

عليه بالعلة المعلومة ردع الوساوس الصدور ونوازع الخواطر اذا حدثت وقالت كيف الايمان بما لا يعقل ولا يفهم بل لمن يقول بذلك من المبتدعة وغيرهم ولو كان علمهم بتأويله حاصلاً كعلمهم بتأويل المحكم لم تقع هذه الجملة هذا الموقع من البلاغة وكذا قصر علم التأويل وتمظيمه بذلك القصر المصدر بحرف النفي يعلم أن تأويل المتشابه لا يقع كل الموقع الامتي كان مقصوراً على الله وحده مثل قصر التوحيد عليه اما اذا كان الله تعالى شركاء في علم تأويل المتشابه لا ينحصر في كثيرتهم في انفسهم وتعليمه منهم ممكن لكل عاقل من خلق الله أجمعين فان الحصر لذلك بهذه الصيغة لا يقع موقعه البليغ ويكون نظيره التوحيد في النبوة للانبياء بل التوحيد في الايمان للمؤمنين لان الراسخين اضعافاً ضعاف الانبياء عليهم السلام بما لا ينحصر فكما لم يرد القرآن بأنه لا اله الا الله ولا نبي الا من أوحى اليه الله أو نحو ذلك لكثرة الانبياء وعدم فائدة صيغة القصر أو عدم بلاغتها وفصاحتها حيثئذ فكذلك هذا وذلك أن علماء المعاني والبيان نصوا على أن قصر الصفة على الموصوف لا يخاطب به الا من يعتقد الشراكة ولذلك سمي قصر افراد لقطع الشراكة وليس في الوجود مخاطب يعتقد أن العوام العمى يشاركون الله والراسخين في علم تأويل المتشابه حتى يرد اعتقاده بهذا القصر وإنما الموجود من يعتقد أن الراسخين يشاركون الله تعالى في ذلك فحسن قصره على الله لقطع اعتقاد من جعل الله فيه شركاء فافهم ذلك وتأمله فانه جيد (الوجه التاسع) أن أما للتفصيل ويلزم منه ذكر قسيم ما بعده على المختار كما يظهر عند ذكر الكلام في الأدلة وهو قول من اقوال أهل العلم واختاره الامام

يجي بن حمزة عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة ذكره في كتاب
الحاوي في أوائل المجلد الثاني في الفصل الثالث في المحكم والمتشابه وحكا
نجم الدين في شرحه لمقدمة ابن الحاجب كما يقول أما زيد فعالم وأما عمرو
بجاهل ولا يحسن أن يقول أما زيد فعالم ويسكت على ذلك ولا يذكر
له قسما مخالفا لأنه يعني عن ذلك أن تقول زيد عالم وعلى هذا آيات القرآن
العظيم كما قال تعالى (أما من ظلم فسوف نعذبه) الآية في الكهف إلى قوله
تعالى (وأما من آمن) وقال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر
وأما بنعمة ربك فحدث) وقال تعالى (فأما إن كان من المقربين) الآية وقال تعالى
(فأما إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه) كلها بذكر قسم ما بعد ما وقد تحذف
أما ويذكر قسم ما بعدها نحو قولك أما زيد فعالم وعمرو جاهل
بدلا من قولك وأما عمرو بجاهل والدليل عليه الآية الكريمة (فأما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إلى قوله والراسخون في العلم) بدلا
من قوله وأما الراسخون كما هو قول الإمام يحيى عليه السلام وقد ذهب
إلى ذلك غيره فيما حكاه نجم الدين واختار أنه محتمل يعني
بذلك مع احتمال أن يكون قسم ما بعدها محذوفا فالجواب أنه لا يصح
ذلك إلا بعد تقرر جواز حذفه بدليل غير الآية أما حين لم يكن معهم
دليل غير الآية فإنه لا يصح لهم ذلك لما في الآية من الاحتمال لحذف
أما من أول قسم ما بعدها لا حذف القسم وحذفها معا وقد ثبت جواز
حذف أما مع اثبات قسميها مع القرينة الدالة على ذلك بغير الآية الكريمة
وأما حذف القسم فلم يصح قط إلا مجرد دعوى في هذه الآية وذلك

مجرد احتمال لم يثبت له رجحان ألينة فلا يكون له دليل * يوضحه أن عدم التفصيل بعد أما لا يخلو اما أن لا يصح وقوعه أو يصح نادراً أو يصح كثيراً ، ان لم يصح فالقول قول من أوجب التفصيل بعدها لان النحاة قد نصوا على أنها للتفصيل في لغة العرب وذلك يستلزم ذكر المتعددات بعدها واقفاً أمران متغايران وان صح نادراً فقواعد البصرية من النحاة وجوب تأويل ماسد عن الاصل بما يلائم الاصل كتأويلنا في هذه الآية لقوله تعالى (والراسخون في العلم) بأن المراد وأما الراسخون لان الاصل الغالب في أما ذكر متعدد بعدها لكيلا تبطل قوانين العربية وتختل قواعدها وإن صح عدم التفصيل بعد اما كثيراً انتقص كونها للتفصيل وتمحضت للشرطية وكان حرف شرط صرفاً يقوم مقامها لان التفصيل يوجد معها تارة ويعدم آخرى ويوجد مع عدمها أيضاً كقول المدثر، لكن قد ثبت أنها للتفصيل فيثبت أنها لم ترد لغيره كثيراً قطعاً ولا يثبت أنها وردت لغير التفصيل نادراً بدليل ظني غير محتمل وأنا أورد كلام نجم الدين فيها لينظر فيه بانصاف (فاقول قال نجم الدين) في كلامه على أما التي للتفصيل اعلم : أن أما موضوعة لمعنيين لتفصيل يحمل أولاً ستلزم شيء لشيء ومن ثمة قيل إن فيها معنى الشرط والمعنى الثاني لازم لها في جميع مواضع استعمالها بخلاف معنى التفصيل فانها قد تجرد عنه وقد التزم بعضهم هذا المعنى فيها أيضاً في جميع مواقعها فالتزم ذكر المتعدد بعدها وحمل قوله تعالى والراسخون في العلم بعد أما الذين في قلوبهم زيغ على

معنى وأما الراسخون وهذا وإن كان محتملا في هذا المقام إلا أن جواز السكوت على مثل أما زيد فقائم يدفع دعوى التزام التفصيل فيها انتهى والجواب أن ظاهر كلامه أنه لم يوجد غير الآية حجة الا ما ادعاه من حسن السكوت على مثل أما زيد فقائم فاما الآية فقد بطل الاحتجاج بها مع اعترافه باحتمالها للتفصيل، واما حسن السكوت من غير تفصيل فالجواب أن أما قد يكون معها ما يقوم مقام التفصيل من القرائن التي تقتضيه وان لم ينطق به وأما بالنظر الى معنى الملازمة فسلم ولا يضر تسليمه كما لو رأيت رجلا جاهلا فقلت له توبينخا أو تخصيصا أما زيد فعالم والتقدير وأما انت فجاهل ومن ذلك قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) فتخصيص الذين آمنوا بالله بالذكر هنا مع دخول أما وإشعارها بالتقسيم قرينة دالة على أن المراد وأما الذين كفروا فليس لهم ذلك أو فلهم عذاب أليم أو نحو ذلك وهذا المثال نص عليه وعلى ما ذكرته فيه ابن هشام احد كبار النحاة في كتابه مغني اللبيب وقد اعترف الزمخشري في كشافه في تفسير قوله تعالى في آخر سورة النساء (فسيحشرهم اليه جميعا) أن ذكر احد القسمين في قوله تعالى (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) يستلزم تقدير القسم الآخر في المعنى فكيف لا يستلزم ذلك في قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) مع انها أولى لان القسم فيها مذكور وهم الراسخون في العلم لكن حذف وأما من صدره لوضوح القرينة فاذا وجب عنده

تقدير أما وما بعدها مع حذفهما معا لدلالة القرينة على ذلك فكيف لا تقدر أما وحدها إذا حذفت في صدر القسم الذي بعدها بل كيف لا يجوز ذلك وما أوجبه في بعض الآي حرمه في بعض ، فظهر أن ظاهر الآية عليهم لولا ما ادعوه من أنها من التشابه وقد أوضحت أنها من المحكمات وأن الوجه الذي احتجوا به لا يتأسك ضعفا والله الحمد والمنة * وإما إن ادعى حسن السكوت مطلقا بالنظر الى معني التفصيل الموضوع له فممنوع لانه نفس المتنازع فيه الذي يخالفه فيه من قد ذكر خلافه وهو الذي ادعى حسن السكوت عليه ، أما أن يكون له عليه دليل أورده فلا ولو كان لا ورده لكنهم ما وجدوا غير الآية وإذا كان اصل اما للتفصيل وفاقا لم يصح دليل على خلاف الاصل لان المدعى له مستغن عن إقامة الحجة لبقائه على الاصل ووجبته الحجة على من ادعى خلاف الاصل * على أن من ادعى حسن السكوت على ذلك ادعى أنها تكون للتوكيد واخرجها من بابها ذكره ابن هشام ولم أعرف عليه دليلا وعلى تقدير صحته فلا يجوز الا في كلام مبتدأ ما تتقدمه جملة يكون تفصيلا لها كقولك أما زيد فعالم مبتدئا بذلك اما إذ قدمت جملة ثم عطفت عليها بالفاء قبل أما المستلزمين في العادة للتفصيل فلا بد من تقديره كما تقول وفد الناس على الخليفة فاما الفضلاء فأكرمهم وتسكت أو تقول والاراذل اهانهم بحذف اما من صدر التقسيم فمن التعسف ، والتعسف الفاحش تقدير قسم آخر غير قولنا والاراذل اهانهم كما زعم بعض المتأخرين في قسم (فاما الذين في قلوبهم زيغ) إذ محذوف مقدر وليس هو قوله تعالى (والراسخون في العلم) مع إقرار

نجم الدين وهو من أئمة الخصوم بصلاحيته لذلك ويعضده ما ذكره ابن الحاجب في شرح مقدمته فانه قال فيه: أما للتفصيل لان وضعها على أن تفصل بها نسب إلا انهم لم يلتزموا ذكر المتعدد فقد يذكروا وقد لا يذكروا بعدها أمرا آخر ولكنه يفهم أنه ترك الامر كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ (ولم يذكروا بعد ذلك أما اخرى لتفصيل آخر وأما مجيء المتعدد فيها فكثير ولذلك قال بعضهم إنه لازم وحمل عليه قوله تعالى (والراسخون في العلم) على واما الراسخون في العلم وقطعها عن العطف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) فكانه قيل اما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به ثم كلامه في الشرح فتقرر أن القوى في معنى الآية واما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وهذا يمنع من عطف الراسخين على الله والحمد لله على بيان ذلك

(الوجه العاشر): ما رواه الحاكم وصححه في كتابه المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ (ويقول الراسخون في العلم آمنا به كل من دنا ربنا) وابن عباس ترجمان القرآن وهذه قراءة لا تفسير فهي في حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي ترجح احد الاحتمالين في الآية كالخبر الاحادي وان لم تتواتر قراءته قرآنا لكن الصحيح وجوب العمل بها لقوة الظن بصدقه كما هو مقرر في الحجة بخبر الواحد في فطر العقول وشريعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم واجماع المسلمين بعده وبقوى ذلك أن الزمخشري وهو من الخصوم رواه عن أبي بن كعب سيد القراء بصيغة الجزم ولم يضعفه وروى بصيغة الجزم عن ابن مسعود أنه قرأ (إن تأويله إلا عند الله) ولم

يضعفه أيضا وهذه فى معنى قراءة أبي وابن عباس رضى الله عنهما فهؤلاء ثلاثة من أكابر الصحابة ما كانوا ليفتروا فى كتاب الله عز وجل ومن عادة الزمخشري التقوى بالقراءات العربية على المعانى فكيف بالمشهورة المصححة والحمد لله كثيرا

(الوجه الحادى عشر) الوقف على الله وقدم كلام على عليه السلام فى ذلك وهو امام الراسخين وهو معروف عن القراء مشهور بينهم وقد نقله ابن تيمية عن جمهور الأمة وعن أقرأ الصحابة أبي بن كعب وعن ابن عباس المسمى فيهم بالخبر وبالبحر المجابة فيه الدعوة النبوية فى تعليم التأويل وهو التفسير كما ذكره ابن تيمية فيما تقدم وعن ابن مسعود: المجاز من الشيطان الذين رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمرته ما رضى لهم وعن غيرهم وقد وافق الزمخشري على نقله قراءة عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود فيكفى فى وجوب العمل وصحة الترجيح نقل واحد منهما

(الوجه الثانى عشر) ان مثل فواتح السور لو كانت معروفة لاهل العلم لجاز ان تنزل سورة كبيرة ليس فيها الا حروف مقطعة مسرودة يكلف العلماء معرفة المراد منها وتفصيل مدلولاتها من وعد ووعيد وأوامر ونواهي بل كان يلزم تحوير أن يكون القرآن كله كذلك وكذلك كتب الله الى جميع الرسل كلها لانه لا يبح فى ذلك الا عدم معرفة معناه وهم ادعوا معرفة معناه فاذا كانوا يدعون معرفة مراد الله تعالى بالحرف المقطوع والحرفين والثلاثة والاربعة الى العشرة وزيادة عليها جاز فى أكثر من ذلك ولا حاصر ولا حاجر

(الوجه الثالث عشر) انه كان يلزم أن يفهم مثل هذا عن غير الله تعالى فيخاطب العقلاء بذلك ولا ينكر على من دخل على قوم أن يكون أول كلامه لهم كذلك والله أعلم

(الوجه الرابع عشر) أنه يلزمهم ان يحسن من العلماء أن يصنفوا في الحلال والحرام ويعبروا بالحروف المقطعة لأنه يمكن فهم المراد منها (الوجه الخامس عشر) انه لم يرد شيء من ذلك قط بعد الخطاب فلم يرد يا أيها الذين آمنوا كما ورد يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة فدل على انها كلام لا خطاب

(الوجه السادس عشر) وهو ما يبطل دعواهم لذلك بحجة واضحة يعبر عنها بحروف مقطعة من جنس ما فهموه عن الله تعالى فان فهموا عنا مرادنا فيها سلينا لهم وان لم يفهموا وضح الحق فنقول في احتجاجنا عليهم الم وكيعص

(الوجه السابع عشر) ان ترك تفسير المتشابه أحوط لان الانسان يسأل عما قال مطلقا خصوصا في تفسير كتاب الله تعالى مع ما ورد فيه من التشديد كما تقدم ولا يسأل عن قوله لا أعلم فيما لا يعلم والوقف عند الشبهات من صفات المتقين بل من صفات العقلاء أجمعين وقد قيل اذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وتقدم قول على عليه السلام بابردها على الكبد : قوالك فيما لا تعلم الله أعلم

(الوجه الثامن عشر) أن تأويل المتشابه من التكلف وقد قال عمر في الاب ما قال كما هو في الكشف وغيره ولم يشكر على عمر أحد فكيف بالمتشابه وقد قال الله تعالى في صفة نبيه صلى الله عليه وسلم (وما أنا من

المتكلفين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم (هالك المتطعون)
وهم المبالغون في الأمور

(الوجه التاسع عشر) ان التكليف بمعرفة المتشابهة على التفصيل من
الخرج وقد نفى الله الخرج عن الدين

(الوجه المو في العشرين) انه لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه اشتغل بتعليم ذلك وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة) وكذلك الصحابة لم يبحثوا عن ذلك وهم خير أمة
أخرجت للناس

(الوجه الحادى والعشرون) انا لو عرفنا معانى تلك الحروف كما
ادعى بعض المفسرين انها اسماء للسور أو اشارة الى اسماء الله تعالى
لكانت مع ذلك جملة لحذف التركيب منها فانك اذا نطقت باسماء
معروفة من غير التركيب لم تفد كما لو سردت نحو زيد . خالد . بكر .
محمد . عبد الله والله أعلم

(الوجه الثانى والعشرون) ان الراسخين فى العلم أرفع درجة من العلماء
غير الراسخين ولو تحقق أحد انه من العلماء على قلتهم لم يتحقق انه من
الراسخين واذا سلمنا أن الراسخين هم الذين فسروها لا الذين توقفوا
في معانيها فان المفسرين لها اختلفوا اخلافا شديدا ومع اختلافهم وقع
الاشتباه على غيرهم خصوصا حيث يتعذر الجمع ولم يرد التعبد بالتقليد
في غير العمليات بل ورد النهى عنه وذم من عمل بغير علم وقال الله تعالى
(ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال تعالى (وان تقولوا على الله مالا تعلمون)
فيكون الاحوط في غير الراسخين مع تقدير اختلافهم ترك الخوض

في ذلك سواء قدرنا أن الراسخين معطوفون على الله تعالى أولاً، وأقل من هذا يكفي المنصف، وأكثر منه لا يكفي المتعسف وهذا منتهى ما حضرنى من الكلام في هذه الآية الكريمة من غير تطويل بذكر الاسئلة والمناقضات والمعارضات * فاذا تقرر هذا فاعلم ان المتشابه يطلق على معنيين لغوي وشرعي: أما اللغوي فهو ما لا يمكن فهم المراد منه وهو المسمى بالمجمل في أصول الفقه، وقد يكون في مفرد بالاضافة كالقرء للظهر والحيض، والمختار اسم فاعل واسم مفعول، وفي مركب مثل (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وقد استوعبت الاصوليون اقسامه وجوده المحققون منهم الكلام فيه وليس مما نحن فيه

(القسم الثاني من المتشابه الشرعي) وهو ما لا تتضح في العقل حكمته أو صحته أو معناه بالحروف في أوائل السور فهذا نوعان:

(النوع الاول) ما لم تتضح في العقل الحكمة فيه في مثل خلق من المعلوم انه لا يؤمن وهو أدق المتشابه ولذلك سألت عنه الملائكة وما حصلوا في هذه المسألة الاعلى العلم الجملى وكثرة المتشابه في هذا النوع هو سبب الاضطراب العظيم في مسألة التحسين والتقبيح وتفرع عنها الكلام في أفعال العباد وأجمع الكل من الشيعة والمعتزلة وطوائف الاشعرية الأربعة على أن الغبداً على مختار وهذا غريب لا يكاد يصدقه الواقف عليه ويبادر الى تكذيب راويه حتى يبحث البحث التام فيأخذ بتحقيق المذاهب من كلام محققى أئمتهم وحوافل مصنفاتهم ومع غرابته قد نص عليه السيد صاحب شرح الاصول في أوائل الفصل الثاني في العدل في الكلام على التحسين والتقبيح وقال فيه ما لفظه وبعد فلا

خلاف بيننا وبينكم في ان هذه التصرفات محتاجة إلينا ومتعلقة بنا وانا مختارون فيها وانما الخلاف في جهة التعلق أكسب أم حدوث هذا نصه بحروفيه ، وقد جمعت هذه المسئلة ولخصتها في سنين عديدة وجمعت فيها مصنفاً مفرداً وبان لي انه لا يوجد جبرى محقق إلا ان تكون فرقة شاذة كالمطرفية والحسينية من الزيدية ونادرا كالرازي وحده في احدقولييه وقد رجع عنه في نهاية القول وفي وصيته التي مات عليها أو عامي لا يدري كالمشبه من عوام الزيدية والمعتزلة وبهذا تظهر قوة مذهب اهل البيت واتباعهم * وانما الكلام في كفر من صح عنه محض الجبر مع اجماع الكل على تضليله بل في الاشعرية من يكفر الجبرية ومن هذا النوع يجب الايمان بالقدر خيره وشره مع التنزه عن الجبر ونفى الاختيار وكذلك الايمان بقدره الله تعالى على هداية الخلق اجمعين لو شاء ذلك كما صرح به القرآن في غير آية اختيارا منهم وقهرا لهم مع اعتقاد ان الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وانه يكره المعاصي قال الله تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) ولتحقيق الكلام فيه موضع غير هذا ومن مظانه العواصم فقد أوضحت فيه نصوص القرآن والسنة ونصوص قدماء العترة وكثير من متأخريهم وحجة المعقول على ذلك

(النوع الثاني) من المتشابه ما لم تتضح في العقل صحته ولا أمكنه تصويره وهو قسمان . القسم الاول ما يتعلق بذات الله وصفاته وهو من مجارات العقول وليس فيه أنجي من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وترك التخيل لتشبيهه الرب جل جلاله بشيء من المحسوس والموهوم

والمعقول وقد أوضح نهج السلامة فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فروى أبو طالب عليه السلام بأسناده الممتد في تفسير الراسخين أن رجلاً سأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة فقال له يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا فزداد له حبا وبه معرفة فغضب علي عليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ثم صعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سرد خطبته عليهم إلى قوله يا أيها السائل اعقل ما سألتني عنه ولا تسألن أحدا عنه بعدى فإني أكره أن يكون مؤنة الطلب وشدة التعرق في المذهب فكيف بوصف الذي سألتني عنه وهو الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسي كرامته وطول ولهمم إليه وتعظيم حلال عزته وقربهم من غيب ملكوت قدرته أن يعلموا من علمهم إلا ما علمهم وهم من ملكوت القدس بحيث هم ومن معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته فائتم به واستضيء بنور هدايته فانما هي نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين وما كلفك الشيطان عليه بما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أئمة الهدى أثره فكل عليه إلى الله تعالى فإنه منتهى حق الله تعالى عليك وقال علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام وهي خير وصية من خير موص إلى خير موصى إليه، ودع القول فيما لا تعرف والنظر فيما لم تكلف وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن

الوقوف عند حيرة الطريق يكون خيرا من ركوب الأهوال فقد أوصى عليه السلام بالرجوع الى القرآن وقد دل على ذلك ما لا يحصى من برهانه وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأخبرنا ان في كتابه آيات محكمات ومتشابهات فنظرنا الى ما أجمعت الأمة على إحكامه من صفات ربنا جل جلاله فوجدناها قد أجمعت على قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فعقدنا على ذلك عقائدنا وضمنناه ضمائرنا وطوينا عليه طوايانا وعلينا أن ماناقض معناها ظاهرا فهو من المتشابه الذي يجب علينا الايمان بتنزيله والوقوف عما لانه من تأويله (القسم الثاني) من المتشابه المتعلق بأفعاله بالنظر الى صحته وهو أسهل المتشابه وأقله خطرا بل لا خطر فيه لان الايمان به من جملة الايمان بقدرة الله تعالى وهو انواع

(النوع الاول) إحياء الموتي وهو أشبه شيء بخلق الحياة في الجماد الذي هو النوع الثاني : وانما كان أشبه شيء به لان الميت بعد الموت لا يسمى بعد البلى في التراب جمادوا أجمع المسلمون على كفر من شك في صحة هذا من الملاحدة وعلى كفر من أظهر الايمان به وادعى انه مجاز من الباطنية الذين جحدوا حياة الاجساد في الآخرة وقد أراد الله اكرام خليفه ابراهيم عليه السلام باخراج ايمانه من هذا من الغيب الى الشهادة وجعل سبب هذه الكرامة خطور خاطر أوجب السؤال لربه جل وعلا فقال عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتي قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال نفخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم

ان الله عزيز حكيم (وقال تعالى قبل هذه الآية في هذا المعنى) او كالذى
مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها
فأما ته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتثنه وانظر الى
حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها
لحمًا فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير (فمن كفر لعدم ايمانه
باحياء الموتى فانما كان سبب كفره متابعتة لمجرد استبعاد العقل لذلك وقد رد
الله تعالى هذا الاستبعاد بقوله جل وعلا (أولم ير الانسان أنا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام
وهى رميم قل يحياها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) الى
قوله (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى
بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) وقال تعالى فى ذلك (وقالوا
أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او
حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم
اول مرة) وهذه أقصم آيات لظهور أهل الريب ومن هنا أنكرت
طائفة من المبتدعة عذاب القبر لمجموع عديدين عندهم نظرى وضرورى
تجريبي، أما النظرى فهذه المسألة، وأما الضرورى التجريبي فوجدناهم
على طول التجارب عظاما بالية وقد تطابق السمع على رد ذلك
وصدعت به النصوص الصريحة الصحيحة، وذكرك فى هذا الموضع
مما يؤدى الى التطويل

(النوع الثانى) وقوع بعض خصائص الاحياء من الجمادات من غير

بنية مخصوصة من لحمية ودمية حتى يصح منها الكلام وذكر الله تعالى والاقرار به والسجود له وهذا في القرآن كثير جدا وجمهور المسلمين على الايمان به ومن أوضح أدلتهم ان الله موصوف بالحياة من غير هذه البنية المخصوصة فكيف يستحيل بعض خصائص الحياة في غير الاحياء وانما خالف بعضهم في ذلك لاجل القرينة العقلية فجعلوا قول الله عز وجل في السموات والارض (قالتا أتينا طائعين) مثل قول الشاعر :

فقال له العينان سمعا وطاعة وحده رتا كالدر لم يتثقب
وقد غفلوا في هذه غفلة عظيمة فان الشرط في قرينة المجاز ان
نكون متفجرة عند من وجه الخطاب اليه معلوما عنده بطلان ظاهر
الكلام كما في قولك في وصف الكريم انه بحر عذب او مزن ثجاج
بحيث لا يرتاب في ذلك السامع لكن الكلام اذا صدر من يعلم ما لا يعلمه
ويقدر على ما لا يقدر عليه وقد جربنا خرق العادات من جهته وعقدنا
ضماثرنا على الايمان بما لا نحتمله عقولنا من اخباره حتى صدقناه في
خروج العالم من العدم وثبوت موجود لا اول لوجوده من القدم
وحياة الموتى وثبوت الدار الآخرة فهنا لك تنهد القرينة العقلية ولا
تتماسك ضعفا في مقام الآي القرآنية وان كانت في سائر الكلام قوية
او ضرورية ومثال ذلك أنا إذا سمعنا قول الشاعر :

شكى الى جملي طول السرى * يا جملي ليس الى المشتكى
لم نشك في انه أراد المجاز بقرينة الحال وهو شكى وباقي ذلك
ولذلك لم تخف على العقلاء مقاصد الشعراء والبلغاء ولا استراب

فيها ذكي ولا غبي واما حين سمعنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الجمل شكى الى انك تجيعه وتؤذيه فانها تتبادر أفهامنا الى الايمان بظاهره ولو انا عددنا هذا وامثاله من حنين الجذع وتسييح الحصى وكلام الذراع على المجاز لادى هذا الى الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاشا مقامه العزيز من ذلك لان كلام هذه الاشياء المجازى يمكن حتي مع الكفار قالوا العلم بعدم حياة المجادات ضرورى قلنا مسلم وهو غير محل النزاع فانا نعلم الآن انها جماد وانما النزاع في ان العقل هل له طريق الى القطع بان الله تعالى لا يدخل في مقدوره حياتها في بعض الاوقات متى شاء وهي على صفتها او صدور بعض خصائص الاحياء عنها وهي جماد وهذا لا يناقض علينا بانها الآن جماد ودليل عدم التناقض في ذلك ان الجميع يقر أن الله تعالى قادر على اعدام الاجساد او تحويل الحجارة ذهبا وفضة ودرا وياقوتا الى القرسة ^(١) العليا المدركة بالبصر ومع علينا بقدرته تعالى على ذلك فانه اذا دخل بمنزله او غمض عينه يعلم ان الدنيا باقية على حالها وان الله لم يعدمها ولا حول ذاتها فتعلق العلم ماهي عليه الآن ومتعلق التجويز القدرة فكذلك مسائلنا وكذلك العلم بانه لا يصح صدور الكلام عنها بل فهم أن يكون ضروريا وان لا يكون مقدور لله وهم لا يخالفون فيه وهما في العقل سواء

لكنهم لما صح لهم ورود السمع في خلق الكلام على وجه لا يصح تأويله حكموا أو بعضهم بان ما يتوهم علما ضروريا في مسألة الكلام

(١) القرسة هكذا في ثلاث نسخ خطية ولم أجدها في القاموس فلتراجع اه مصححه

من العقائد الوهمية الانتقادية والقطع في مسألة الحياة مثله سواء (١) وسياقي بيان ان هذه الامور أو بعضها غير وارد على طريق المعجز لعدم قصد التصديق في دعوى النبوة وعلم الغير بوقوعها إلا من اخبار الانبياء عليهم السلام كما يقول في رؤية الخليل عليه السلام لاهياء الموتى ونحو ذلك مما يجرى له قبل النبوة على ان الحق جواز خرق العادات لغير الانبياء عليهم السلام كما هو مبين في موضعه والله سبحانه أعلم * سلمنا ان الحياة غير منقسمة وانه لاهياة إلا في بنية مخصوصة مثل بنية هذه الحيوانات فما المانع من أن الله تعالى يحيي السموات والارض وكل شيء ويجعل ذلك كله على هذه البنية ويصدر منه التسييح الحقيقي في وقت لا نعلمه أو في أوقات كثيرة لانعلمها أو في الآخرة أو قد فعل ذلك فيما مضى قبل وجودنا وهذا ممكن عند جميع اهل الاسلام من اهل السنة والبدعة والجمود والكلام ويمكن ان يحمل عليه سائر الايات الواردة في ذلك كما يأتي الآن ذكرها وذلك مع امكانه متعين لان المجاز خلاف الاصل الظاهر ولا يحل المصير اليه مع امكان الحقيقة وفي ذلك صون جلاله التنزيل من تجرؤ كل فرقة على مستبعد التأويل بادني شبهة يتوهمون انها تستحق اسم الدليل فاين خصائص النبوة وما فائدة الاخبار بالمجاز الذي يمكن كل واحد ان يخبر بمثله فان اجازوا كلام الجماد من غير آلة ولا بنية فليجيزوا خلق الحياة فيه من غير بنية فان الجميع على خلاف المعقول ذاحيرة * ولما بلغ الخوض في هذه المسئلة الى مولانا امير المؤمنين وسيد المسلمين المنصور بالله عليه السلام أحيا

(١) هكذا في ثلاث نسخ الكتاب الخطية وهي في غاية الركة فلتحذر اه مصححه

الله بعلمه السنن واطفاً بسيفه الفتن أنكرها انكار السلف الصالح الذين لم يشب صفو إيمانهم كدر البدع ولا خالط يقينهم مرض الريب فإنه عليه السلام أشبه الأئمة بالسلف هدياً ودلاً وفعلاً وقولاً وعلماً واعتقاداً وجهاداً واجتهاداً وكان مما احتج به عليه السلام قول الله سبحانه (يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها) فيا لها من حجة نافعة لمن أنصف، قاطعة لمن تعسف، لوجوه (الأول) أنه الظاهر ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل مانع منه باجماع المسلمين ولو جاز العدول إلى المجاز بمجرد الاستحسان مع جواز الحقيقة لصح مذهب الباطنية وأمثالهم ولم يوثق لله سبحانه وتعالى بخبر ألبتة والعجب من الزمخشري أنه اختار أن التحديث منها والايحاء إليها مجاز ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يناقض قوله ولم يقدح في صحة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن مقتضاه قول لغيره وإخيار غيره اختياره من غير رد عليهم فما أعجب ما صنع فإن كانت الحقيقة عنده جائزة غير مستحيلة فما يسوغ له صرف كلام الله عز وجل عن حقائقه ولا يحل له تقديم رأيه على صواعق القرآن ونواطقه. وإن كان الظاهر عنده من المحالات بالأدلة العقلية القاطعة فما يحل له أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول المحال الذي نزه عنه نفسه ثم لا يزيفه لأن القول بوجود ذلك عنده كذب وزور بالأدلة القطعية وجدير أن لا تسود له تفاسير الكتب الربانية وهذه طريقة الزمخشري في كثير من تفاسيره وله بالمجاز ولع كثير حتى أنه ذكر أن خلق الله عز وجل للخلق مجاز وأن الحقيقة إنما هي في خلق أحدنا الأديم ونحوه

ذكره في أساس البلاغة وهذا يقتضي أن تسمية الله تعالى بالخالق مجاز يجوز نفيه عنه بغير قرينة ويكون الحق وصف الله بأنه غير خالق على التحقيق وإنما الخالق الحق من لأحب ذكره هنا من صنائع الجلود وهو الذي يوصف بذلك حقيقة فاعرض هذا على قول الله تعالى (هل من خالق غير الله) وعلى ما يسبق إلى أفهام أهل اللغة عند الإطلاق الذي هو اخص اوصاف الحقائق، ومنتهى الامر ان يكون ما ذكره هو الاصل في الحقيقة اللغوية فقد صار الخالق يطلق على الله تعالى في الحقيقة العرفية بل في الحقيقة الشرعية وهي أقدم الحقائق وكلتاها مقدم على الحقيقة اللغوية كما هو مقرر في علم اصول الفقه والخالق من الاسماء الحسنى وحيث يراد به إيجاد الاجسام ونحوها واخراجها من العدم المحض يكون مختصاً بالرب سبحانه وعليه قول الله تعالى (هل من خالق غير الله) وحيث يراد به تصويرها وتركيبها واحكامها وتقديرها يكون سبحانه أحسن الخالقين ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء، والاحكام وحسن التقدير والتصوير من آثار العلم باتفاق العلماء ولذلك كان دليلاً على علم الله سبحانه وعلم العباد في علمه كما قال الخضر لموسى عليه السلام (ما علمي وعلمك وعلم جميع العالمين في علم الله الا مثل ما اخذ هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر) فالله المستعان

(الوجه الثاني) ان قوله تعالى (يا ربك أوحى لها) مانع من ذلك وقد أقر بما يقتضي ذلك في كشفه فقال ان الباء متعلقة بتحدث معناه اخبارها بسبب إحياء ربك لها وامره اياها بالتحديث هذا الفظه ثم زعم ان الوحي مجاز محتجاً بقول الشاعر :

أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

ونسى ما تقرر في العلم الذي هو صنعه من وجوب تقرر القرينة عند من خوطب حتي لا يكون المتكلم ملغزا ولا ماجنا ولا لاعبا عابثا تعالى الله عن ذلك ولا حجة له في البيت لان الشاعر ان كان مسلما يجوز انه قد سمع قوله تعالى (قالنا أتينا طائعين وقوله بان ربك أوحى لها وقوله انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) ونحو ذلك وجاز ان يريد الحقيقة لان في فرق المسلمين من يقول بذلك وفي فطر الاكثرين ممن لم يتلقن الكلام، وان كان كافرا من كفره العرب جاز ان يقول ذلك مستندا الى ما سمعه من بعض أهل الكتب الأولى ومن البعيد أن يكون هذا الشاعر معتزليا من علماء الكلام او فلسفيا من متخذي لغة اليونان ولو سلمنا انه ما أراد الحقيقة فبقريئة ظنية غير سالمة من المعارضة، ولو سلمنا القطع بأنه متجاوز هنا لم يلزم القطع في الآية بمثله فان كلام رب العزة جل جلاله الذي يعلم ما لا يعلمه أحد ويقدر على ما لا يقدر عليه أحد يحمل على الحقيقة في الأمور الممكنات في قدرة الرب جل وعز ولا يصح كلام الباطنية في أن القيامة مجاز وحياة أهل الجنة والنار كذلك بل كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك الا ترى انا متى سمعنا قوله عليه السلام — ان هذا الجمل شكى الى حملناه على ظاهره كما تمضي بخلاف قول الشاعر على ان كون الإشارة الى البهيمة يسمى وحيا من قبيل المجاز دعوى منه والظاهر أن الوحي لفظة مشتركة بين معان على الحقيقة حيث هي الاصل ولا يثبت المجاز الا بدليل فبطل

ما عول عليه من الحجة ، يو ضحه ان الوحي الذي في قول الشاعر هو الى حيوان له الهام الى الاشارات والوحي الى الارض ليس من هذا ولا يصح فيها مثل هذا عنده فكيف يحتج على الشيء بما لا يلائمه ولا يقاربه الى هنا

الوجه الثالث : ان دار الآخرة محل وقوع الخوارق وتقلب العوائد وفيها تتكلم الأيدي والأرجل والجلود والمقصود بما تقع به الاخبار من أحوالها في كتاب الله تعالى المنبه على العباد بتعريف ما لا يعرفونه وتحقيق ما يوعدونه، وحمل ذلك على المجاز عكس لهذه الحكمة الربانية والدلالة على رب العزة جل جلاله في آياته الفرقانية، وتشكيك على المؤمنين في قبول ظواهر الاخبار القرآنية من غير دلالة قطعية وهذا خطر جليل، وخطب كثير غير قليل، وإذا كان القصد بتفسير كتاب الله والنظر في مراد الله هو التقرب الى الله فمالنا والتعرض لمثل هذه الاخطار، والتقديم لباديء الرأي على ظاهر خبر الله الذي هو أصدق الاخبار، ولما رأيت ما وهب الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين من قوة الايمان واليقين والثبوت على مناهج السلف السابقين اثار مني كامنا وحرك ساكنا فأحببت ان أتلو بعد هذه الحجة القاطعة والآية الساطعة ما حضرني مما يقوى معناها فن ذلك قوله سبحانه (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) وقوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض

ومن فيهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن فيهم) مانع واضح من تأويل الزمخشري لتسبيح السموات والارض بالمجاز لأن تسبيحهم حقيقى وتسبيحهم مجازى وقد اعترف أن الكلمة الواحدة لا تكون حقيقة ومجازا في حال واحد وقد التزم بهذا أن تسبيح المكلفين مجاز وماذا أولى من عكسه ولا يعجز خصمه عن مثل دعواه وقد دل على ذلك أيضا قوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لكنه قد تمحل وتكلف تأويل ذلك بما لو صح له مثله لم يعجز أحد من الملاحدة عن تأويل نصوص القرآن على الفساد بمثل ذلك، ومن العجب ارتكاب مثل هذا في كلام الله وتجويزه من غير ضرورة فان ذلك متي صح لم يؤد الى تشبيهه ولا جبر ولا نقص على الله تعالى ولا تكذيب له ومع ما في تجويز ذلك من المفسدة الكبرى وهى تصحيح دعاوى التاويلات الباطلة والنادرة وهذا بوهن كون القرآن حجة نيرة وحكما عادلا بين المختلفين الى يوم القيامة لانه لا يكون كذلك بلفظه بل بمعناه فيجب أن يكون معناه مصونا عن قبول مثل هذه الدعاوى فيه والا بطلت الحجة فيه وادعى كل ماشاء في معانيه والله المستعان وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) وقوله ولقد أتينا داود سنا فضلا يا جبال اوبي معه والطير) وقوله (قل أأنتم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين) ففي هذه الآية

الشريعة الرد على الجبرية لنصها على الفرق بين الطوع والكراه كما هو معلوم من ضرورتي العقل والشرع وفيه الرد على من تأول قولهما أتينا طائعين بنفوذ مراد الله فيهما لوجهين (أحدهما) أن الآية مستلزمة لصحة إتيانها على وجهين مختلفين (أحدهما) يسمى طوعا والاخر يسمى كرها وذلك لا يصح الا إذا كان الايتان فعليهما حقيقة اما إذا كان فعل الله حقيقة لم يتصور منه ذلك الانقسام بل بفعله تعالى كما قال سبحانه (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ولو صح ذلك الانقسام فيه كان ذلك جوابا للجبرية

(وثانيهما) انه لو كان كذلك لم يختص بالوقت الذي عينه في الآية فانه عطف الاستواء ثم التي تقتضي الترتيب والمهلة والقول لها بالفاء التي تقتضي الترتيب بغير مهلة وهذا يدل على انه قال ذلك بعد خلق جزء من الأرض وبعد دحوها لا كما قال الزمخشري انه قبل دحوها والدليل على ذلك انه نص على ان ذلك بعد خلق الجبال فيها وذلك لا يتصور الا بعد الدحو وهو مقتضى الحكمة في خلق الجنة كما جاء في غير هذه الآية وعلى هذا فقد كان قول الأرض بعد تمام مراد الله في خلقها فلم خصه بذلك الوقت وهو قبله اولا على تأويلهم ثم لفظ الايتان لا يناسب تأويلهم واوله الزمخشري بالايتان الذي يحتاج الى مبتدأ مرفوع وخبر منصوب مثل صرنا طائعين فلم يطابق خصوصا على اختياره في العربية ان جاء ونحوه لا يكون فعلا ناقصا بمعنى صار في نحو قولهم جاء البرق فميزر وقوله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله) وقوله (ولو أن قرآناسيرت به الجبال او

قطعت به الأرض أو كلم به الموتي وقوله والنجم والشجر يسجدان وقوله ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب وقوله في هذه الآية (و كثير من الناس) دليل الحقيقة لأننا لو حملنا سجود الجادات على المجاز الذي هو نفوذ مراد الله من فعله فيها من غير اختيارها لدخل الكفار في ذلك فإن مراد الله تعالى من فعله فيهم نافذ من أمراضهم وموتهم وأمثال ذلك ويؤيده قوله تعالى في النحل و (الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ولو لم يكن لها في التسخير فعل تكون به مطيعة لله تعالى لم يقل بأمره كما لا نقول ذلك في مخلوقاته المحضة فتأمل ذلك والله أعلم * مع أن تسمية المقهور ساجدا على الإطلاق غير معروفة في لسان العرب ولا واضح القرينة، وقد اشترط علماء هذا اللسان وضوح القرينة ولذلك منعوا تسمية أبخر الفم أسدا لأجل اشتراكهما في البحر وليس في لغة العرب أن يقول سجدت لى الأرض إذا كان متمكنا من عماوتها وخرابها وزرعها ونحو ذلك ولو كان كذلك لصدق سجود كثير مما ذكر الله تعالى للمخلوقين لتمكنهم منها مثل الشجر والدواب فإن قيل هذا من المعاني المتشابهة وأتم قد منعم الكلام فيها وهذا تناقض فالجواب ان الامر ليس كذلك لوجهين :

الوجه الأول : انا انما منعنا من تأويلها والخوض فيها بغير برهان من الايمان بها والتصديق لظاهرها حيث لا قبح فيه ولا اضافة صفة نقص الى الله تعالى

الوجه الثاني : أن التاويل له معنيان أحدهما معرفة المعنى وهذا
 بما لا نمنعه حيث تحصل عليه دلالة تفيد العلم أو الظن بل يجب التفسير
 به فيما يحتاج الى معرفته كالقرء لأجل معرفة مقدار العدة وان كان
 القرء متشابهاً لا شترأ كه بين الطهر والحيض وأمثال ذلك وفي هذا قال
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء لابن عباس (اللهم فقّهه في الدين
 وعلمه التأويل) وقال على عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه
 السلام واني ابتدئك بتعليم كتاب الله تعالى وتاويله وشرائع الاسلام
 وأحكامه ولا أجاوز ذلك بك الى غيره ، والدليل على ما ذكرته من أن
 هذا التأويل الذي كان أجمع عليه السلام أن يعلمه لولده الحسن عليه
 السلام غير تأويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى أمور: منها جميع
 ما تقدم من كلامه عليه السلام وغيره ومنها قوله عليه السلام عقيب
 هذا الكلام في هذه الوصية : ثم أشفقت أن يلتبس عليك بما اختلف
 الناس فيه من أهوائهم مثل ما التبس عليهم الى آخر كلامه وهو يدل على
 ان الذي عرفه على بدايته به من تعليم الكتاب وتاويله هو الفروع ودون
 الأصول وثانيها التاويل بمعنى معرفة وجه الحكمة في دقائق التحسين
 والتقبيح وماهية الأمور وحقائقه في دقائق الجائزات والمحالات وما يمتنع
 على العقول تصوره من المجازات وهذا هو الذي لا يعلمه الا الله دون
 الأول فالتاويل بهذا الوجه لا يعلمه الا الله وان علمنا معنى اللفظ
 والدليل على ذلك نص القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام
 وهو قول الخضر لموسى (سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا) ثم انه يبين
 له وجه الحكمة ولم يكن تاويله بما يدل على ان قتل الغلام كان مجازاً أو

خرق السفينة وقع استعارة فكذلك هذا فانا نؤمن بان كلام الجمادات مع الله تعالى صحيح كما قال الله تعالى وكذلك سجدوها واخبارها وسائر ما حكى الله عنها ولا ندرى بكيفية ذلك التي هي تاويله بهذا المعنى فثبت انه لا يعلم تاويل المتشابه في العقول الا الله تعالى وان علينا الله سبحانه بخبره لنا وجود المتشابهات وقدرته عليها وآمننا بذلك في الجملة لم نكن قد شاركناه سبحانه فيما اختص به من علم تاويلها وتفاصيل وجوه الحكمة والكيفية فيها وما يدل على ذلك اقرارهم بوصف الله تعالى بكونه حيا حقيقة من غير بنية مخصوصة فان قالوا انما صح لكونه حيا لذاته من غير حياة قلنا اذا صح حي من دون حياة مع عدم معرفتنا لذلك ولا شبهة الجائنا جازان تنقسم الحياة الى أنواع * بيانه ان حياة الملائكة عندهم تشترط فيها الرطوبة وعندهم أنهم لا يدركون ولا تدرك رطوبة حياتهم للطفهم فيجوز في كل جماد مثل رطوبتهم التي لا تدرك وأيضا فالأشجار ذات رطوبة وقولهم ليس لله حياة ولا علم بدعة ومناقضة في اللغة

النوع الثالث : كلام المعجوات من الحيوانات وذكراها الله تعالى ومعرفتها به سبحانه وهو أقرب في العقل من الاول وأصرح في نصوص القرآن والسنة ومع ذلك فقد صرح الزمخشري وغيره بتاويله مع تطابق دليل العقل والسمع على صحته فمن ذلك قوله تعالى (والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وقوله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) وقال حكاية عن سليمان عليه السلام (يا أيها الناس علينا منطق الطير

وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين) وقال جل جلاله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها) وقال تعالى في قصة الهدهد (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبخه أو ليأتيني بسلطان مبين فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به [وقال تعالى [حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء [والحجة في أنطق كل شيء عامة في الحيوان والجماد وقال سبحانه (اليوم نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون [وقال سبحانه [وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا امم أمثالكم [وقال سبحانه (واوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) الآية وقال تعالى في الهدهد [فكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبابنا يقين [في وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم [وقد اشتمل كلام سليمان عليه السلام مع الهدهد على الرد على الخصوم في قولهم ان كلام الهدهد معجز من فعل الله ولو كان كذلك ما قال سليمان سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ولو جب القطع بصدقه لان كلامه على زعمهم

كلام الله . وعلى الرد عليهم في قولهم ان الحيوانات لا تعقل ولو كان كذلك ما استحق الهدهد العقوبة التي توعد بها سليمان عليه السلام بقوله لا عذبه عذابا شديدا أو لاذبحه

ووجه آخر يدل على عقله وهو قول سليمان عليه السلام أولياتني . بساطان ميين فانه لا يأتي بالحجة البينة إلا العقلاء أو فطناء العقلاء والله أعلم ولا وجه يقصر هذا على ذلك الهدهد لقول سليمان عليه السلام (علينا منطق الطير) ولان قدرة الله تعالى صالحة لذلك في كل هدهد وقد أخبر بتسييح كل شيء وصلاة كل شيء فهذا مما ورد في القرآن العظيم * وأما الوارد في السنة الشريفة فما لا سبيل الى استقصائه وقد ذكر منه الامام المهدي محمد بن المطهر عليهما السلام جملة صالحة في تفسير قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وما أحق المتناول للجائزات بالخوف من هذا الوعيد الشديد فذكر الامام المهدي عليه السلام كلام الحيوانات في هذه الآية لما تعلق به من لعننا لمن لعنه الله فذكر كلام الثعالب وشعره الذي ذكره أبو طالب في الامالي وذكر كلام البعير والعصا وكلام الضب والحمار الذي أخذ من خير وسؤاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اسمه وحديث الناقة التي شهدت انها ملك لصاحبها وحديث الشجرة التي شهدت بالنبوة وذكرها على عليه السلام في النهج وطول في هذا قدر كراس من أشعار وأخبار وروى ذلك كله بالسمع والاسانيد وذكر القاضي عياض في كتابه الشفاء في التعريف بحجة ورق المصطفى وذلك في ثلاثة فصول

أحدها في الحيوانات وثانيها في كلام الشجر وثالثها في كلام سائر
الجمادات من كتابه وهو اجمع شيء لهذا المعنى * وذكر الزمخشري طرفا
من ذلك في تفسير قوله تعالى حاكيا عن سليمان عليه السلام (يا أيها الناس
علمنا منطق الطير) على سبيل الحكاية منه لما لم يصح عنده كما صح في آية
الزلزلة بعد أن صدر التفسير بمحاولة تأويلها فقال ان المنطق كل
ما يصوت به في المفيد وغير المفيد

وحكى عن العرب انها قالت نطقت الحمامة وحملهم على التحقيق
دون التجوز في نطق الحمامة مع أن تسمية ذلك نطقا لا يسبق الى الفهم الا
بقريئة وهذا دليل المجاز ولم يجوز ان نطق الحمامة مجاز مثل خلق الله
تعالى عنده للمخلوقات ونظائره ثم بعد هذا فلو سلم له صحة تسمية
صوت الطير الذي لا يفيد نطقاً حقيقياً فإنه لا يحسن من سليمان ان
يخطب في الناس بأنه علمه فان كل أحد من الناس يعلمه والذي أخبر
به سليمان وضمنه الله تعالى كتابه العزيز وكلامه الجليل أمر عظيم ومعجز
باهر وقد فهم الزمخشري أن تأويله هذا يبطل هذه الخصيصة ويمحوها
وعلم أنه لا بد من أمر خص به سليمان فعدل عن المنصوص وقال ان
الذي علمه أغراضها وهذا أيضا لا يختص به سليمان فان كثيرا من الخلق
يفهم كثيرا من أغراض العجاوات لاسيما من مارسها وعلى تسليم ذلك
فليست الأغراض تسمى منطقاً في اللغة فدار كلامه على ان الذي علمه سليمان
أمر غير المنطق فان كان الذي علمه معجزا فهلا أقر بأنه المنطق الظاهر
من غير تأويل، وان كان غير معجز لم يستحق التعظيم الكثير والتنويه
بذكره في قول سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) ثم بتضمين الله

تعالى له في أعز كتبه المنزلة وآية المكرمة ثم بعد قليل غص بريقه في قوله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) فاضطر الى الاقرار بظاهاها حتي قال ان إعجابه وضحكه كان بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني لو شعروا لم يفعلوا انتهى كلامه وفيه مع الاقرار بنطقها الاعتراف بعقلها وفهمها المكان نبوة سليمان وعدله الذي لم يهتد اليه كثير من عقلاء الناس بل من المدعين للتبريز في علم المعقولات من الفلاسفة واشباههم فيا هذا ان كان مثل هذا جائزا عندك داخلا في مقدور الله فما أحل لك تأويل [علمنا منطق الطير] ووجب عليك الايمان بكلام النملة وان كان هذا الجنس عندك من المحال فكيف صح عندك الايمان به في هذه الآية وحدها وإن كان هذا تفسير المسمى بالعلامة المشهود له في علوم المعاني والبيان بالامامة وهو كذلك في هذا الفن فكلمة الحق لا يجحدها ولا يحسده عليها فما ظنك بكثير من المفسرين الذين لم يعضوا على هذا العلم بناجذ قاطع ولا حظوا من الاتقان له بطرف صالح فما أحق الناظر في كتاب الله تعالى بعدم الاتسكال على تقليد الرجال أو على الترك لما لا يعرفه والاقتصار على الايمان به والتلاوة وليتدبر جلاله التعبير وليعلم انها مرتبة تقارب مرتبة النبوة لأن مرتبة النبوة التبليغ عن الله تعالى لكلامه ولا شك أن معظم المقصود من كلام الله معناه فالمفسر له كالمبلغ عن الله سبحانه فاعتذارهم بان هذا معجز مردود بأمور

أحدها أنهم انما منعوا من قبل المعجز لغير الأنبياء وهذا المنع غير صحيح
وتقريره في غير هذا الموضع وعلى تسليمه فليس القصد هنا فهم غير
الأنبياء لذلك انما القصد علم الله ومن شاء من ملائكته لذلك وكون ذلك
مقدورا لله متى شاء

الثاني أن شرط المعجز أن يقصد به تصديق مدعى النبوة وكون
النبوة في دعواه والا كانت كرامات الأنبياء والأولياء والملائكة وما
يظهر على أيدي الرجال كلها معجزات مثاله رؤية الخليل عليه السلام
لأحياء الموتى ولملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين لا تسمى
معجزة لأن القصد بها تقوية إيمانه وشرط المعجز علم غير الأنبياء من
غير خبرهم وكثير من هذه الأشياء لم تكشف إلا لهم خاصة وهذه
كرامة لهم لا معجزة ونظيره ما يجري لهم قبل النبوة وبعد الموت
في حال الخلوة

الثالث : أن كلامنا إنما هو في تأويل قوله تعالى علمنا منطق الطير
وإنما تأويلها من غير موجب والفرق بينها وبين كلام النملة بكون
كلام النملة معجزا غير صحيح لجواز أن يكون تعليم منطق الطير
معجزا أيضا وكذلك كلام الهدد وإن كان منهم من أن يكون
عاقلا فلا استحالة في جميع ذلك في قدرة الله ولا في بعضه فليس فهم مقاصد
الكلام يستلزم العقل كما لم يستلزم ذلك فهمها الإشارات وفهم الصبيان
ذلك قبل البلوغ والله اعلم

وفي قصة الهدد ما يدل على أنه عاقل لأنه علم بوعدده بالعقوبة وما
يدل على أنه متكلم باختياره لأنه قال له سننظر أصدقت أم كنت من

الكاذبين ولو كان كلامه معجزا لكان من فعل الله ولو جب صدقه ولم يكن محتاجا الى امتحانه ولم اقصد بالتطويل في هذا نقيصة عالم وانما قصدت ان يكون تالى كتاب الله تعالى عارفا بما اشتملت عليه التفاسير من الخشو الكثير حذرا من البدع يظانفيا يحتاج الى النظر لا يتبع كل ناعق ولا ينقاد لكل سائق والله عند لسان كل ناطق وقلبه ونيته والدين النصيحة لله تعالى ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاشارة الى ما يعرف به المجاز من الحقيقة ﴾

اعلم ان اللغات بأسرها ما وضعت إلا لبيان المقاصد وإيضاحها وان المجاز لو صح على الإطلاق من غير شرط ولا داليل عليه لبطلت الفوائد المأخوذة من الكتاب والسنة بل لبطل فهم بعضنا من بعض وإذا أردت ان تعلم ان الامر في ذلك غير ملتبس لولا الاهواء والعصبيات فانظر الى اشعار الفصحاء وخطب البلغاء كيف يبين فيها المجاز من الحقيقة من غير لبس فكيف يقع اللبس الشديد في كلام المعصوم من التلبس على المخلوقين المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله وسلم بل في كلام الله جل جلاله الذى جعله شفاه لما فى الصدور ونورا لا يطفأ إذا طفىء كل نور فقد وصفه الله اصدق الوصفين بما يحزى الصادق عنه والمتشككين من الاحكام والفصل والفرقان والنور والهدى والتبيين، والعقل يدرك هذا لو لم يرد منصوصا فى القرآن

المبين *

فاذا عرفت هذا فاعلم ان شرط الحسن في المجاز ان يكون معلوما عند السامعين غير ملتبس بمقاصد المتخاطبين الا ترى انه لا يلتبس المجاز في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ولا الحقيقة في قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) وقوله تعالى (أولى أجنحة) وكذلك لا يخفى عليك في قوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتمهم لؤلؤاً أمثورا) وعدم التجوز في قوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وكذلك لا يخفى التجوز في قوله (فوجدنا فيها جدارا يريد ان ينقض) ولا الحقيقة في قوله (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) او امثال ذلك بما لا حاجة الى استقصائه من غير تعلم لعلوم المعاني والبيان ولا تقليد لعلماء هذا الشأن بل لبقاء سامع هذه النصوص على الفطرة وعدم ثبوت الفهم السليم بما يعنى عن البصيرة ويورث الحيرة فهذا الأصل هو المعتمد عليه الجلي ولذلك يفرق العامة بين قولك زيد اسد وبين قولك من غير قرينة ان الاسد عدا على الناس ومتي قال القائل دخلت على الملك ورايت البلاد في يده لم يشك من لم يسمع بعلم المعاني انه مجاز ومتي قال دخلت على الملك فرايت كتابا في يده او سيفاً او خاتماً لم يشك المبرز في علم المعاني انه عني الحقيقة بل الباطنية الغلاة الذين يزعمون ان كل الكلام مجاز مضطرون الى سلوك الجادة التي عليها العامة والانما وجدوا الى فهم كلام أئمتهم ودعاتهم سبيلاً ألبتة فاذا تطلعت الى معرفة ما لخصه علماء المعاني في هذا فهو البناء على الحقيقة الا عند وضوح إحدى القرائن وهي ثلاثة

لارابع لها

احداها العقلية وهي ما يعلم المتخاطبون استحالة ظاهره من غير كلفة

مثل قولهم ان البلاد في إيدى الملوك وان الكلام الحسن الترصيف
 دررا منظوم من الملاحه في سلوك ومنه تسمية الشجعان بالأسود السود
 والكرماء بغيث الوفود ومنه واسأل القرية التي كنا فيها والعيبر
 التي أقبلنا فيها أي أهلها

ثانيها القرينة العرقية وهي ماجاز في العقل وامتنع في العرف مثل
 مباشرة الملوك الكبار لبعض الأعمال تقول عمر الخليفة بني دارا أي أمر
 بذلك ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون (ياها مان ابن لي صرحاً)
 أي مر من يبنى

ثالثها القرينة اللفظية كقول الشاعر :

لدى أسد شاكي السلاح مقدف * له لبد أظفاره لم تقلم

فقوله شاكي السلاح قرينة لفظية تدل على أن الممدوح رجل
 شجاع لاسبغ وذلك كثير ومنه قوله تعالى (الله نور السموات
 والأرض) أي منورهما بدليل قوله تعالى (مثل نوره) لان اضافة النور اليه
 تدل على انه رب النور وخالقه وأراد بالنور هنا نور العلم والهدى
 بدليل قوله (يهدى الله لنوره من يشاء) وقد تكون منفصلة في العموم
 والخصوص كقوله (الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) في بيان
 المراد من قوله تعالى [في يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة] فهذا في
 بيان المراد من نفى الخلة وأنه عن غير المتقين وكذلك قد ورد ما يبين
 ان نفى الشفاعة غير عام وذلك قوله تعالى [من ذا الذي يشفع عنده إلا
 بأذنه] وقوله [ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا
 من اتخذ عند الرحمن عهدا] وغير ذلك وقد تكون قرينة التخصيص

في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في تخصيص الحائض
 بتحريم الصلاة مع عموم الامر بها في عمومات القرآن والسنة
 وتخصيص ما لا نجب فيه الزكاة من الاموال مع عموم (خذ من اموالهم
 صدقة) وفي الحديث (لا يأتي رجل مترف متك على اريكته يقول
 الا اعرف إلا هذا القرآن فما أحله أحلته وما حرمه حرمة ألا واتى
 وتيت القرآن ومثله معه الا وان الله حرم كل ذى ناب من السباع
 ومخلب من الطير) وهذا مخصص ومبين لقوله تعالى (قل لا اجد فيما اوحى
 الى محرماً على طاعم يطعمه) الاية فينبغي لحامل كتاب الله تعالى ان
 يستكمل العلم بمعرفة السنة فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو
 وأنزلنا إليك الذكر المبين لما اجل من القرآن قال تعالى (لتبين للناس
 ما نزل اليهم) وقال تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)
 والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وافضله كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله
 على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره اذا كرون وغفل عن
 ذكره الغافلون من يومنا هذا الى يوم الدين — قال في الام انتهى
 زبر هذا الكتاب ضحى يوم الاحد شهر شوال سنة ١١٢٩ من هجرة
 خير المرسلين بخط مالكه الفقير الى الله تعالى السائل من وقف عليه
 الدعاء بحسن ختامه على بن إسماعيل خطيه لطف الله به

فهرس كتاب ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان

| صفحة | |
|---------|--|
| ٢ | سند الكتاب ونبذة من ترجمة مؤلفه |
| ٧ | خطبة الكتاب للمؤلف |
| ١٠ | التنبيه على عظم قدر القرآن الشريف |
| ١٢ | مقارنة في تحقيق رجحان أسلوب القرآن |
| ١٤ و ١٥ | إدراك المعجوات وميزات القرآن الكريم |
| ١٧ | كفاية القرآن في البرهنة على عقائد التوحيد |
| ٢١ | بيان أن القرآن أساس لاستنباط الأدلة العقلية |
| ٢٤ | كراهة أهل البيت رضي الله عنهم تعالى في علم الكلام |
| ٢٦ | التؤيد بالله بمنع الخوض في مباحث الكلام الدقيقة |
| ٢٩ | بيان أن النزاع في الأمور الدينية مؤدالى الفشل |
| ٣٢ | مقدار حرص آل البيت على حفظ الدين |
| ٣٣ | شعر الملامتين (ابن الفضل وابن حميدان) في ذم المعتزلة |
| ٣٦ | قصيدة المتوكل على الله الموزلة لأعضاء المعتزلة |
| ٣٩ | قصيدة في اظهار أسرار الآله في عجائب مخلوقاته |
| ٤٠ | القصيدة المنتخبة في ذم المعتزلة |
| ٤٣ | ما فعله السيد عبد القادر الجيلاني مع الامام الرازي |
| ٤٤ | البرهان على أن الأجمال في التوحيد هو القدر الواجب |
| ٤٩ | حكاية الرب الجليل لبرهان الهدهد على التوحيد |
| ٥٠ | عذوبة شعر سيدنا زيد بن عمر بن نفيل في التوحيد |
| ٥٣ | التصوص الشرعية على ترك المجادلة في الدين القيم |
| ٥٤ | بيان أن من بلغ الحد في اللجاج لا تنفع معه المناظرة |
| ٥٨ | العلامة الزنجشري يثبت التوسل بكتاب الله وسنة رسوله |
| ٦١ | التحذير من الغرور بالمتصالحين من ذئاب الناس |
| ٦٤ | آداب المتخاصمين وما ينبغي للحكم بينهما |

- ٦٩ الكلام فيما تأتي له اللام من المعاني
- ٧١ الكلام في صيغ عموم السلب وسلب العموم
- ٧٥ الكلام في ترجيح الاستدلال بالمعجز
- ٧٦ كلام أبي هاشم في الاستدلال بالأكوان
- ٧٨ بيان الحجة على الله من غير طريق الأكوان
- ٨١ ذكر الآيات الدالة على وحدة الصانع جل وعلا
- ٨٤ مقارنة أدلة القرآن بأدلة اليونان
- ٨٦ احتجاج ابن أبي الحديد بدلالة التركيب لا بالأكوان
- ٩١ اثبات الفرق بين آثار الاتفاق وآثار قدرة الخلاق
- ٩٢ إبطال مذهب الطبيعيين بالدليل الحسي
- ٩٥ استدلال البدوي بالفطرة على وجود الصانع
- ٩٦ نظر الخليل عليه السلام وكلامه مع الرب الجليل
- ٩٧ الكلام في أصعب ما يرد على المتكلمين
- ١٠١ الكلام في صفات الجوهر الأربعة
- ١٠٣ بيان أن الدليل الإجمالي في معرفة الله كاف في حق العوام
- ١٠٥ بيان أن من خير أدلة التوحيد (مرج البحرين يلتقيان)
- ١٠٧ الفرق بين صاحب المعجزة والكاهن والساحر
- ١٠٩ نقل دليل الانفس للعلامة مختار المنزلي
- ١١٠ الكلام على دليل الآفاق
- ١١١ بيان ما أودعه الله تعالى في الأعملة الواحدة من المعجائب
- ١١٤ الكلام في مفاد آية (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت)
- ١١٥ احترام العرب للحرم ولأجزائه في الجاهلية
- ١٢٠ احتجاج أبي هاشم على إثبات الكون المختلف فيه
- ١٢٩ رجوع المؤلف إلى تمام الكلام في القرآن الكريم

محتبة

| | |
|-----|---|
| ١٣١ | نظم ابن أبي الحديد فى ذم الفلاسفة |
| ١٣٦ | الشعر الصوفى فى التوحيد الحق |
| ١٣٩ | كلام أمير المؤمنين سيدنا على والامام الشافعى رضى الله عنهما |
| ١٤١ | الكلام فى ان الراسخين يعلمون تأويل المتشابه أم لا |
| ١٤٦ | حجة القائلين بأن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه |
| ١٤٩ | بيان أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه |
| ١٥٣ | الكلام فى الوجه الثالث وفيه النهى عن تفسير القرآن بالرأى |
| ١٥٤ | وصف سيدنا على عليه السلام للراسخين فى العلم |
| ١٥٥ | تقسيم زيد بن على عليهما السلام للقرآن على أربعة أوجه |
| ١٥٩ | البحث الدقيق فى أما وما يذكر بعدها |
| ١٦٢ | الكلام فى أن أما كما تكون للتفصيل تكون للتوكيد |
| ١٦٧ | بيان القسم الثانى من المتشابه الشرعى |
| ١٦٨ | بيان المصنف فى أنه لا يوجد جبرى محقق |
| ١٧١ | الرد الشافى على من استبعد إحياء الموتى |
| ١٧٤ | بيان كلام المعجاوات والجمادات |
| ١٧٩ | رد المؤلف على الزمخشرى |
| ١٨٧ | الاستدلال بكلام النملة على عقلها وفهمها |
| ١٨٩ | فصل فى الإشارة إلى ما يعرف به المجاز من الحقيقة |
| ١٩١ | بيان قرائن المجاز الثلاثة |

بيان الخطأ المطبعى وصوابه فى كتاب ترجيح أساليب القرآن

| صواب | خطأ | مصحفة | سطر |
|------------|------------|-------|-----|
| التائبين | مغائبين | ١٣ | ٦ |
| بها كافرين | لها كافرين | ١٥ | ١٥ |
| وتقصى | وتقصى | ١٦ | ٨ |

| صواب | صحيفة سطر خطأ | |
|--|--|--------|
| عمل به أجر | عمل أجر | ١٧ ٢ |
| الكافي في فقه | الكافي فقه | ٢٧ ٣ |
| وإن جادلوك | فإن جادلوك | ٥٤ ٥ |
| هذه الأسئلة | هذا السؤالات | ٦٤ ٢ |
| وإلا احتججا | وإلا احتججا | ٦٤ ٦ |
| وتوقد ذكائه | وتوكد ذكائه | ٦٨ ١٧ |
| وانها في كلامي تفيد | وأنه في كلامي يفيد | ٧٣ ٥ |
| أن تكون قديمة | أن تكون قديما | ٧٩ ٥ |
| لآية | لآيات | ٨٢ ٣ |
| أمن يهديكم | أم يهديكم | ٨٢ ١٠ |
| موسى تسع آيات | موسى آيات | ٨٥ ١٥ |
| قذفه | قذفة | ١١١ ١٤ |
| رحمه الله | رحمة الله | ١١٧ ٤ |
| لأبائته | لأبائتها | ١٢٠ ٨ |
| يقدر على | يقدر على | ١٢٥ ٤ |
| تيمية | تيميه | ١٤٢ ٤ |
| أو لاستلزام | أو لاستلزم | ١٦٠ ١٥ |
| لم يتحقق | لم يتحقق | ١٦٦ ١٥ |
| وجود | وجوده | ١٦٧ ٨ |
| جلال | حلال | ١٦٩ ١١ |
| مقدور الله | مقدور | ١٧٣ ١٧ |
| وتجويزه | توتجويزه | ١٧٩ ١٠ |
| لأعرف | الاشارة | ١٩٢ ٥ |
| هو وأزلنا البك الذ كر المين هو المين لما أجل من القرآن قال تعالى (وأزلنا | هو وأزلنا البك الذ كر المين هو المين لما أجل من القرآن قال تعالى (وأزلنا | ١٩٢ ١٠ |

